المحتويات

العدد (٧٨) السنة (٧) تشرين اول ١٩٨٦ .

الثقافة

افكار هادية في ذكرى خالدة — ٢

السياسة

تلك سياسة الادارة الامريكية وتلك نتائج الاعتماد عليها — أسعد الاسعد — ٥

جبهة القوى المعادية للامبريالية سبيلنا لتحقيق اهدافنا الوطنية — نعيم الاشهب — ١٢

بعض قضايا الصراع في جنوب القارة الافريقية — تيسير العاروري

الاقتصاد

تنمية بمفهوم جديد — محرم البرغوثي — ٤١

الاتجاهات العامة في تطور الاقتصاد الاسرائيلي — د.سمير عبدالله و سمير البرغوثي — ٥٢

المداخلات

ازمة ثقافة ام ازمة حكم ؟! — محمود امين العالم — ٧٠

تجربة تضاف الى تجارب شعبنا النضالية ـ "حول اضراب العاملين في جامعة بيرزيت" — مراقب — ٣٢

مع الكتب

مذكرات انجيلا ديفيز — ٨٨

شهادات فيليتسيا لانغر عن عصر الحجارة — ١٠٨

الاراء المنشورة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر مجلس التحرير .

جبهة القوى المعادية للامبريالية سبيلنا المضمون لتحقيق أهدافنا الوطنية

بقلم : نعيم الاشهب *

ليس خافيا ان مكانة وهيبة منظمة التحرير الفلسطينية قدأخذت بالتدهور المتواصل بعد العدوان الاسرائيلي على لبنان صيف ١٩٨٢ . ومن مضاعفات هذا العدوان يتضح ان الامر لم يقتصر على ارغام منظمة التحرير الفلسطينية على الخروج من لبنان ، حيث كانت تتمركز حركة المقاومة الفلسطينية وتمارس منظمة التحرير قدرا غير قليل من حرية الحركةواستقلالية القرار ، بل ان آثار هذا العدوان وما خلقه من امكانيات افضل للتحالف الامريكي ـ الاسرائيلي ، والتي جرى تجنيدها على الفور في مضاعفة الضغوط وتسعير الدسائس في المنطقة ، قد ادت بالنتيجة الى تفكك حلقات التحالف السورى الفلسطيني ـ الوطني اللبناني . هذا التحالف الذى شكل ، بعد خروج مصر من جبهة المواجهة ضد المحور الامريكي ـ الاسرائيلي ، خط المواجهة العربية التحررية الرئيسي في المنطقة ضد مكائد ومؤامرات اعداء الشعوب العربية .

وبدوره ، اعطى تفكك حلقات هذا التحالف السورى ـ الفلسطيني ـ الوطني اللبناني دفعا جديدا لنشاط معسكر الاعداء وتعاظم شهيته في السعي لكسر حلقات هذا التحالف المفكك كل على حدة .

واذا كان الشعب اللبناني ، بقيادة حركته الوطنية ، قد افلح في الغاء اتفاق آيار ١٩٨٣ وارغام قوات البحرية الامريكية على الجلاء عن التحالف الامريكي ـ الاسرائيلي ـ العربي الرجعي قد نجح في دفع لبنان من جديد الى دوامة الاحتراب الطائفي الدموي الرهيب والفوضى الشاملة .

اما الحركة الوطنية الفلسطينية وتجسيدها منظمة التحرير الفلسطينية ، فقد تركز الضغط ، بعد فشل محاولة تصفيتها جسديا خلال حصار بيروت ، لجرها الى مزالق التسويات الاستسلامية . وفي هذا المضمار جرى توظيف واستغلال عدد من الظواهر السلبية المستجدة

* نعيم الاشهب : .. عضو المكتب السياسي السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني .

والمحيطة بوجود ونشاط هذه الحركة الوطنية الفلسطينية سببا :

١) حالة التشتت الجديد بعد بيروت ، للمقاتلين والاجهزة منظمة التحرير ، وضغوط المعروفة الفلسطينية التي تكونت ضمن هذه الاجهزة من اجل تأمين الظروف المريحة لبقائها واستمرارها .

٢) الوضع العربي المتردي والضاغط ، بدوره ، سلبا على منظمة التحرير خاصة والحركة الوطنية الفلسطينية عامة ، وتصعيد المساعي ، من جهات عربية مختلفة ، لاحتواء منظمة التحرير بالاستفادة من الظروف والصعوبات المستجدة .

٣) الاثار السلبية التي تركها على الجماهير الفلسطينية الموقف العربي العاجز خلال العدوان على لبنان ، ولا سيما خلال الدفاع البطولي عن بيـروت .

ومعروف ان واشنطن قد بادرت ، بمجرد مغادرة آخر مقاتل فلسطيني بيروت الى طرح مشروع ريغان ، الذى لا يخرج عن كونه محاولة لخلق الاوهام حول " الحلول" الامريكية للقضية الفلسطينية خاصة وازمة الشرق الاوسط المزمنة عامة .

وينبغي الافتراض بان هذا المشروع في صياغته وتوقيت طرحه قد اخذ في الحسبان الطبيعة الطبقية لقيادة الحركة الوطنية الفلسطينية ومدى تأثرها بالعوامل السالفة الذكر ، وكونها تمثل ، في الاساس طبقة اجتماعية ذات امتيازات ، تجعلها مستعدة لقبول اية صفقة ، اذا بدا لها انها تؤمن مصالحها الاقتصادية وامتيازاتها . بل يمكن القول ، بان هذا المشروع معنون ، في الاساس ، لهذه الطبقة ، ولا سيما لشرائحها داخل الارض المحتلة التي ارهقها استمرار الاحتلال الاسرائيلي هذه السنين الطويلة ومساعيه ، ليس فقط لافقارها وتدميرها اقتصاديا ، بل واقتلاعها مع بقية جماهير الشعب الفلسطيني من تلك الاراضي ، ليحل مكانهم المستوطنون الصهاينة الجدد — وهي خاصية مميزة للاحتلال الاسرائيلـــي .

واذا اردنا اختزال هذا المشروع لقلنا بانه حاول خلق الوهم لدى هذه الشرائح الاجتماعية بان الاراضي المحتلة يمكن استعادتها من الاسرائيليين ، ولكن عبر البوابة الاردنية . اما الدولة الفلسطينية المستقلة ، فقد نفاها هذا المشروع دون مواربة .

وفي الظروف المعقدة التي خلفها العدوان الاسرائيلي على لبنان ١٩٨٢ ومضاعفاته ، فقد انساقت هذه الشرائح الاجتماعية وممثلوها السياسيون وراء اوهام الحلول الامريكية . وهنا ، بدأ يبرز التباين بين طموح هذه الشرائح وممثليها السياسيين للتخلص من الاحتلال وبين استعدادها للتخلي عن هدف الدولة الفلسطينية . وتكريس هذا التباين على شكل شرخ داخل الحركة الوطنية الفلسطينية ، وغدا نقطة للفرز السياسي المبكر وقد زاد من تعقيدات الخلاف داخل هذه الحركة ، بعض الوسائل التي جرى اللجوء اليها لحله ، والتداخلات من بعض الاطراف العربية ولا سيما الرجعية .

ويكمن جوهر خلافنا ، مع هذا الاتجاه وممثليه في قناعتنا المستندة الى التجربة الملموسة ان التخلي عن هدف الدولة المستقلة لن يعيد الارض الفلسطينية المحتلة حتى ولا للاردن ، ما دام الامر رهن الارادة

...ومكثف. فهذه الاراضي وقعت مع غيرها، ...حت الاحتلال الاسرائيلي، كما هو معروف، ...ي حزيران ١٩٦٧، ومع ان مجلس الامن ...الدولي اتخذ قراره رقم ٢٤٢ في تشرين ثاني ١٩٦٧، المتعلق بهذه الاراضي المحتلة، ...مع سنوات بعد هذا القرار حتى ...خذت الجمعية العمومية قرارها رقم ٣٢٣٦ ...ذي يعترف بحق شعبنا الفلسطيني في تقرير ...مصيره واقامة دولته المستقلة، فان الولايات ...المتحدة واسرائيل وحدهما قد حالتا خلال ...هذا الفاصل الزمني، بل وحتى اليوم، دون ...تسوية قضية الاراضي العربية المحتلة. وتبدو ...خطورة الوهم بحل مشكلة الارض عبر الحلول ...الامريكية، اذا لاحظنا ان العوامل الاساسية ...التي يمكن ان تجبر التحالف الامريكي — الاسرائيلي على التراجع غير متوفرة في الوقت ...الراهن، ولا سيما مناخ دولي يتجه نحو ...الانفراج وميزان قوى ملائم في المنطقة.

ولم تكن التطورات الخطيرة التي وقعت داخل الحركة الوطنية الفلسطينية بخافية عن ...عيون اعداء الشعب الفلسطيني والمتربصين به ...وحركته النشطة التي كانت مصدر صداع دائم ...لهم. فقد جرى تركيز جهود هؤلاء الاعداء ...لتوسيع الخلاف وتحويله الى انقسام لا رجعة ...فيه.

وتحور الضغط لدفع عملية الفرز الى ...الامام، بدعوى ان ظروف التسوية تتطلب ...تشكيل منطقة تحرير من " المعتدلين" ...واستبعاد " المتطرفين".

وجاء انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني في عمان اواخر ١٩٨٤ لتقنين هذا الفرز ...الخطير والمدمر. ولاول مرة منذ عام ١٩٦٨، ...حين راحت منظمة التحرير تتحول الى نوع من الجبهة الوطنية بانضمام منظمات العمل الفدائي الى صفوفها، بدأت هذه المنظمة تفقد، نتيجة مجلس عمان السالف الذكر، هذه الخاصية الهامة، حيث تشكل هذا المجلس، بشكل عام من لون سياسي واحد.

وكان مجلس عمان المقدمة الطبيعية لاتفاق عمان[٨١] و ما سمي باتفاق التحرك المشترك بين النظام الاردني وقيادة منظمة التحرير، والموقع في شباط ١٩٨٥.

وجدير بالتنويه في هذا السياق ان الملك حسين قد افتتح مجلس عمان بطرح شعار " "الارض مقابل السلام" وليس الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني مقابل السلام. هذا اذا سلمنا جدلا ان الجانب العربي هو الذي يتحكم في قضية الحرب والسلام في المنطقة. وقد تحول شعار " الارض مقابل السلام" بعد ذلك الى مضمون اتفاق عمان. وقد جاء هذا الاتفاق تتويجا لتوجهات الرهان على الحلول الامريكية. وكان اخطر ما فيه ليس الاستعداد للتخلي عن الدولة المستقلة لصالح كونفدرالية مع الاردن، او اشراك النظام الاردني في التمثيل الفلسطيني، بل تخويله الولايات المتحدة منفردة بمعالجة القضية الفلسطينية " وحلها ". وقناعتنا بهذا الخطر ليس مردها فقط كون الولايات المتحدة متحيزة كليا لاسرائيل والتحالف بينهما يتعزز من يوم لاخر، بل استنادا الى تجربة مصر المريرة كذلك، التي قبل حكامها تخويل الولايات المتحدة منفردة معالجة النزاع بين مصر واسرائيل. ان هذه التجربة تشكل برهانا لا يقبل النقاش على المصير المدمر الذي يمكن ان تؤول اليه قضيتنا العادلة، اذا انفرد

حكام واشنطن بتصويبها . فقدكان على مصر، اكبر دولة عربية، ان ترهن استقلالها الى اجل غير معلوم، للولايات المتحدة وان تفتح ابوابها مشرعة للتغلغل الاسرائيلي، وان تدفع فوق كل ذلك، بقية فاتورة الحساب الفادحة من حقوق الشعب الفلسطيني، حيث التزمت، بموجب اتفاقيات كامب ديفيد المشؤومة، بان تسهم في فرض تسوية للقضية الفلسطينية تسفيها الحكم الذاتي واسقاط حق شعبنا في الدولة المستقلة، كل ذلك في سبيل استعادة سيناء الجرداء مشوهة ومنقوصة ـ كمايشير الى ذلك النزاع المستمر على منطقة طابا ـ منزوعة السلاح ، تنتشر في مختلف اركانهامحطات التجسس الامريكية اوالاطلسية وقواتهما . كان هذا حصيلة تفويض الولايات المتحدة، منفردة ، بمعالجة الصراع بين مصر واسرائيل وبمعزل عن مجمل الصراع العربي ـ الاسرائيلي . فماذا سيكون مطلوبا من الشعب الفلسطيني، والحالة هذه، ان يدفع ليستعيد حقوقه، اذا سلم بتفويض واشنطن منفردة بمعالجة قضيته الوطنية العادلة ؟.

ولكن يلفت الانتباه انه خلال عام واحد من توقيعاتفاق عمان وصل الرهان على الحلول الامريكية الى الطريق المسدود ، بعد سلسلة مثيرةمن المناورات الامريكية ـ الاسرائيلية ـ الرجعية العربية . وبات واضحا للعيان ان هدف واشنطن التي بادرت علنا لمباركة هذا الاتفاق لدى توقيعه ، وكذلك هدف حكام الاردن، لم يكن الا تدمير منظمة التحرير واخراجها نهائيا من حلبة الصراع.

وكانت الحلقة الفاصلة في ذلك ، هي مطالبة قيادة منظمة التحرير باعلان قبولها غير المشروط بقرار مجلس الامن ٢٤٢ الصادر في تشرين ثاني ١٩٦٧ والذى تنحصر صلاحيته في التعامل مع نتائج العدوان الاسرائيلي في حزيران ١٩٦٧ واحتلال الاراضي العربية ،اى التعامل مع النزاع باعتباره نزاعا حدوديا وحسب . وغني عن القول انه في اطار هذا التعامل ليس هناك مكان لحق الشعب العربي الفلسطيني ، الطرف الاساسي في صراع الشرق الاوسط ، في تقرير مصيره وحقه في اقامة دولته الوطنية المستقلة على ارضه بعد تحريرها من الاحتلال الاسرائيلي ـ كما اعترفت له بذلك قرارات الجمعية العمومية المتلاحقة اعتبارا من ١٩٧٤ ،ومن قبل ذلك قرار التقسيم الصادر في ١٩٤٧/١١/٢٩. وبالتالي : ليس هناك مكان لمنظمة التحرير التي غدت تشكل تجسيدا لهذا الاعتراف الدولي الهـــام .

وجدير بالتنويه ان واشنطن كانت خلال ذلكالعام من حياة اتفاق عمان ـ كانت دوما ـ ترفض تقديم اى التزام يشير من قريب او بعيد الى اعترافها بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، بل ولا حتى اعترافها بوحدة الشعب الفلسطيني داخل الاراضي المحتلة وفي الشتات ووحدة قضيتـــه .

لكن السؤال الذى يطرح نفسه، في ضوء التطورات اللاحقة هو لماذا دفعت واشنطن مناورة اتفاق عمان، بهذه السرعة الى الطريق المسدود، ولماذا هذا الاستعجال الطفت للنظر ؟.

يمكن الاعتقاد بان وراء ذلك عدد من الاعتبارات من اهمها :

١ ـ ان ازمةالشرق الاوسط قد برهنت على كونها اكثر النزاعات الاقليمية تشابكا مع الوضع الدولي . ولم يكن من باب الصدف ان

مظاهر التحول في السياسة الامريكية من
اج الى التوتير والمواجهة قد تجلت في
الازمة، حين اجهضت واشنطن بيان فانس
بروميكو في خريف ١٩٧٧، وذلك بعد ايام
ات من توقيعه. ومعروف ان هذا البيان
دعا الى عقد مؤتمر دولي في نهاية ذلك
لمعالجة وحل ازمة الشرق الاوسط .
، بدل ذلك السادات للقيام بزيارته
رة لاسرائيل وصولا الى اتفاقات كامب
د التي زادت ، عمليا ، من تعقيدات
ة والتوتر في المنطقة بدل حلهما . وواضح
ان ادارة ريغان، تشدد، حاليا، من
اعبها في دفع العالم نحو مزيد من التوتر
نحو جولات جديدة من سباق التسلح ،
شكال ترتيباتها على النطاق الدولي
ين اوسع سلسلة من الاحلاف والقواعد
سكرية لخدمة استراتيجيتها الكونية. وفي
ذا السياق، فان منطقة الشرق الاوسط
حساسة لموقعها الاستراتيجي ومصادرها
نطقة تحتل موقعا خاصا . في ضوء ذلك،
نو استعجال واشنطن لتصفية القضية
سطينية منسجما مع هذا السياق، وذلك
نح الطريق واسعا لتكتيل دول المنطقة ـ
ائيل والدول العربية سوية ـ فيما يسمى
"الاجماع الاستراتيجي".

الاحساس باقتراب انهيار النظام
ستهلوبالي العنصري في جنوب افريقيا، في
ة النهوض الثورى المتعاظم لشعب جنوب
نبيا، مما يجعل مصير هذا النظام المشين
ة زمن، ولا مناص من انهياره. ويدرك
كام واشنطن وحكام اسرائيل على السواء،
احتدام الرأى العام العالمي سيتركز،
نطقا، واكثر من اى وقت مضى، على القضية
الفلسطينية، باعتبارها آخر بؤرة ملتهبة
لنظام كولونيالي يرفضه المجتمع الانساني
المعاصر. من هنا يتزايد قلق حكام اسرائيل
والولايات المتحدة واستعجالهم في السعي
لاجهاض القضية الفلسطينية قبل فوات الاوان

٣ ـ توقع انفجار ازمات اقتصادية ـ اجتماعية
في البلدان العربية، يسرع في انضاجها
انخفاض مداخيل النفط انخفاضا حادا. ماخوذ
في الحسبان ان الاموال التي تدفقت خلال
ازدهار مداخيل النفط لم يجر استثمارها
لتطوير مجتمعات انتاجية، بل استهلاكية في
الاساس. لكن المحصلة الاساسية لذلك كانت
الترسيخ الواضح لطريق التطور الرأسمالي في
بلدان المنطقة مع كل السمات الموضوعية لهذا
التطور، من فرز طبقي واستقطاب خطير للثروة
والفقر . وبالتالي : فان توقع انفجار مثل هذه
الازمات في هذا البلد العربي او ذاك وحتى
في سلسلة منها، اصبح توقعا واقعيا . ومثال
السودان هو مجرد اشارة اولية على ذلك . كما
ان تمرد قوات القمع المركزى في مصر قبل عدة
شهور والذى تسبب في ترك البلاد بلا سلطة
لساعات طويلة، دليل واضح على نضوج
الظروف الموضوعية لانفجار مثل هذه الازمات.
ولولا غياب العامل الذاتي، في حينها،
لكانت النتائج بالضرورة مختلفة. وفي هذا
السياق، يكمن الاستعجال في السعي لاجهاض
القضية الفلسطينية، في كونها احد العوامل
التي تشحن الشعور القومي العربي بالتمرد
على التحالف الامريكي ـ الاسرائيلي من
جهة، ومن الجهة الاخرى لكون العامل
الفلسطيني الذى ينوء، حاليا، تحت
ضغط الوضع العربي المتردى

سينتعش في حال حدوث متغيرات ايجابية في هذا البلد العربي او ذاك، وستزداد المصاعب امام محاولات "ترويضه".

٤ ـ وبالارتباط مع العامل السابق ومضاعفاته، فان قلق واشنطن يتزايد على مصير الانجازات التي حققتها حتى الان في منطقتنا، بما فيها اتفاقات كامب ديفيد، في ضوء الادراك بان كامب ديفيد قد مضى عليها ثماني سنوات ولم تفلح كل الجهود في توسيع رقعتها بضم اية دولة عربية اخرى. مأخوذ في الحسبان ان توسيع كامب ديفيد، هذه المرة، موجه لكسر "الجوزة" الاصعب وهي القضية الفلسطينية.

٥ ـ القلق المتزايد من المبادرات السلمية المتتالية التي يطرحها الاتحاد السوفياتي والتي راحت تسبب حرجا متزايدا لحكام واشنطن وتل ابيب، بما في ذلك المبادرة الاخيرة التي طرحتها القيادة السوفياتية لدى زيارة الرئيس الفرنسي ميتران لموسكو في تموز الماضي، والتي تدعو الى تشكيل لجنة تحضيرية من الدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الامن والاطراف المعنية بالنزاع في الشرق اوسطي، ومن ضمنها منظمة التحرير، للاعداد لمؤتمر دولي لمعالجة وحل ازمة الشرق الاوسط. هذه المبادرة التي قبلها ميتران، واحدثت ارتباكا وتباينا في اوساط التحالف الامبريالي الغربي.

واذا كان الملك حسين قد اعلن وقف التنسيق السياسي مع القيادة الرسمية لمنظمة التحرير بدعوى ان هذه القيادة تفتقر للمصداقية وراح يركز هجومه، عمليا، ضد حق شعبنا الفلسطيني في تقرير مصيره، ويصور هذا الحق باعتباره العقبة التي تحول دون تحرير الاراضي المحتلة ١١ فان اشارات سابقة قد انطلقت لتوحي بنفاذ صبر واشنطن على وجه الخصوص، والحاحها على الحصول على نتائج سريعة من المناورة مع قيادة منظمة التحرير. وقد كانت الغارة الاسرائيلية الجوية على مقر قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في تونس، صيف عام ١٩٨٥، اشارة واضحة على ذلك. ومعلوم ان ريغان قد خرج فورا ليؤيدها في بيان علني. وفي حينها لم يكن صعبا على المراقب السياسي ربط هذه الغارة بموقف الجانب الفلسطيني في الوفد المشترك الفلسطيني ـ الاردني، اعلان قبوله قرار مجلس الامن ٢٤٢ مجردا ودون اية اعترافات او التزامات بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره. وكان الوفد المشترك في زيارة للندن بدعوة من وزارة الخارجية البريطانية في الصيف الماضي، وليست الغارة في الاساس بسبب حادث السفينة الايطالية المشوه كما بدا في حينها.

لكن اعلان الملك حسين ايقاف التحرك المشترك مع قيادة منظمة التحرير كان بمثابة مرحلة جديدة، وبداية لهجوم شامل ومكشوف لتصفية منظمة التحرير وخلق بديل لها. وقد باشر النظام الاردني هذا الهجوم مستفيدا من المرتكزات التي حققها على حساب المنظمة، خلال العام الذي انقضى على اتفاق عمان. ويتصاعد هذا الهجوم حاليا على عدة محاور منها:

١ ـ مصادرة التسهيلات النسبية التي حصلت عليها منظمة التحرير داخل الاردن في ضوء توقيع اتفاق عمان، بما في ذلك اغلاق المكاتب وطرد بعض مسؤوليها وكوادرها من مكاتبها

قيام ابوالزعيم واتباعه من قيادة وكوادر
فتح، بايعاز من النظام الاردني، باعلان
وتحديهم لفتح وقيادتها، والسعي
رأي عام فلسطيني من حولهم،
داخل الاردن، يستغلون في ذلك نقمة
الفلسطينية على كافة مظاهر الفساد
اجهزة فتح و م.ت.ف. والتي يعرفها
ابو الزعيم بحكم مركزه السابق في
فتح كمسؤول عن "المخابرات" فيها"
تجميد نشاط اللجنة المشتركة الفلسطينية
الاردنية لدعم صمود سكان الارض المحتلة
التي تشكلت في ضوء قرار من القمة العربية
بغداد بتخصيص مبالغ معينة لهذا الغرض
الاستعاضة عن هذه اللجنة المشتركة بموءسسة
اردنيـــة

ـ الهجوم لشامل على مواقع منظمة التحرير
اخل الاراضي الفلسطينية المحتلة ذاتها،
بالتنسيق والتعاون مع سلطات الاحتلال
الاسرائيلية. وقدجند النظام الاردني، في هذا
الهجوم كل المزايا التي يتمتع بها في هذا
الصراع، بما في ذلك تحكمه في حركة
الاشخاص والبضائع من الارض المحتلة عبر
الاردن وقضايا جوازات السفر وسواها، مأخوذ
في الحسبان كون الاردن يشكل البوابة
الرئيسية لسكان الاراضي المحتلة، وكذلك
تحريك العناصر البيروقراطية الفلسطينية
التابعة للنظام الاردني، واحياء روابط القرى
المنهارة بمبادرة من المحتلين الاسرائيليين
وانطلت في خدمتهم لكنها توارت عن الانظار
بسبب العزلة الخانقة التي اصيبت بها،
وتجنيدها في هذا الهجوم ضد منظمة التحرير
مع الايعاز للقائمين عليها بتغيير اسمها
لتمويه حقيقتها، بالاضافة الى التعاون مع
الاسرائيليين لتعيين مجالس للبلديات بدل
المجالس البلدية المنتخبة التي اقالتها
سلطات الاحتلال ومنع اجراء انتخابات جديدة

لكن يبدو ان اطراف التآمر على القضية
الفلسطينية غير مطمئنين الى مفعول هذه
العوامل وحدها. لذلك بدأ الحديث يتردد،
في الاونة الاخيرة، من عمان وتل ابيب
وواشنطن بنغمة متجانسة عن اهمية وضرورة "
" تحسين ظروف المعيشة" لسكان الاراضي
المحتلة. بل ان عمان اعلنت في اواخر تموز
الماضي ان وزارة التخطيط الاردنية قد اعدت
خططا لتنمية الضفة والقطاع المحتلين لمدة
خمسة اعوام تبلغ تكاليفها قرابة مليار ونصف
المليار من الدولارات. وان واشنطن وعدت
بتغطية نصف هذا المبلغ. وربما كان الغرض
من اعلان مثل هذه الارقام الضخمة نشر الاوهام
في اوساط اصحاب المصالح في الاراضي
المحتلة الذين تطحنهم الازمة المتفاقمة
واجراءات الاعتصار الاسرائيلية. وعلى اى
حال، فانه من الاستخفاف بالعقل السليم
تصوران واشنطن المسؤولة الاساسية عن استمرار
الاحتلال الاسرائيلي لاراضينا وعن معاناة
شعبنا الفلسطيني طيلة هذه السنوات معنية
بتحسين ظروف المعيشة لسكان الاراضي
المحتلة. اما حكام اسرائيل والاردن، فما الذى
يدفعهما ،الان، لمثل هذا الحماس والغيرة
للعمل من اجل تحسين ظروف المعيشة لسكان
الاراضي المحتلة، في وقت يعاني اقتصاد
بلديهما ازمات حادة، ناهيك عن ان حكام
اسرائيل هم الذين اوصلوا بسياسة منهجية،
طيلة تسعة عشر عاما، اقتصاد الاراضي المحتلة
الى وضعه المزرى الحالي، وحكام الاردن كانوا

، من قبلهم قد عرقلوا تطور اقتصاد الضفة الغربية الفلسطينية لصالح الضفة الشرقية الاردنية وفق خطة مدروسة ، وتحكموا في صرف اموال الصمود العربية المقررة من مؤتمر القمة العربية في بغداد ١٩٧٨ لسكان الاراضي المحتلة ، فنهبوا ،وما يزالون حتى اليوم ، قسما اساسيا منها والقسم الاخر وجهوه لتعزيز مواقع رجالاتهم في الارض المحتلة ، على حساب اية مشاريع ذات جدوى حقيقية في دعم الصمود وايجاد فرص عمل للعاطلين المحرومين .

اننا نعثر على مغزى هذه " الغيرة" المفاجئة للثالوث الامريكي ـ الاسرائيلي ـ الاردني في تعليق شولتز، وزير الخارجية الامريكية على اعلان منح حكومته الاردن مؤخرا مبلغ اربعة ملايين ونصف المليون دولار للانفاق على " تحسين ظروف المعيشة" لسكان الضفة والقطاع ، اذ يقول : " قد تساعد الملك حسين في مواجهة عرفات". وعندما سئل "برنارد كالب" المتحدث الرسمي بلسان الخارجية الامريكية في هذا الصدد عن سبب تقديم هذا المبلغ عبر الاردن ، اجاب :" .. لان الاردن هو القناة المناسبة، في راينا ، لتحقيق التنمية في تلك المناطق ،كما ان خطة التنمية الاردنية تخدم الاهداف الامريكية الرامية الى ايجاد فلسطينيين معتدلين يمثلون الشعب الفلسطيني بدلا من متطرفي منظمة التحرير" (٢). لكن الطريف في تصريح " كالب " هذا ، عدا دفاعه عن الاردن ، انه يعتبر القائمين على منظمة التحرير الان " متطرفين". في حين جرى تصنيفهم ، قبل عام ونيف ، عندما وقعوا اتفاق عمان ، بالمعتدلين ، والذين رفضوا اتفاق عمان بالمتطرفين !.

وفي الحقيقة ،فان زيارة الملك حسين لواشنطن ، قبل شهور ، والتي تمت عقب انهيار تجميد التنسيق السياسي مع منظمة التحرير، قد اسفرت عن خطة اعتمدها الطرفان ،من اثنى عشر بندا ، مكرسة لتصفية منظمة التحرير وخلق بديل لها والمدخل لتحقيق ذلك هو ما يسمى بـ " تحسين ظروف المعيشة" لسكان الاراضي المحتلة ، المستهدف ، في الحقيقة، خلق قاعدة اجتماعية ، في تلك الاراضي، للحل الامريكي بصيغته الاخيرة ، والقائمة على التقسيم الوظيفي بين اسرائيل والاردن في الاراضي المحتلة (Condominium) وهذا المشروع هو التفسير الاسرائيلي للحكم الذاتي الوارد في اتفاقيات كامب ديفيد (٣)، وبموجبه تتكرس تلك الاراضي فعليا ونهائيا كجزء من اسرائيل ، مع اعفاء اسرائيل من تبعة حقوق المواطنة لسكان تلك الاراضي، باعتبارهم ـ كما كان حالهم قبل الاحتلال عام ١٩٦٧ ـ مواطنين اردنيين. وبذلك يتم تجنب المساس بالطابع العنصري لدولة اسرائيل ، ومخاطر تحولها الى دولة ثنائية القومية ، هذه الاشكالية التي واجهت حكام اسرائيل منذ اللحظة الاولى لاحتلالهم لبقية الاراضي الفلسطينية عام ١٩٦٧ ، والتي يتفقون جميعا ، رغم هامش المناورة بين فصائلهم المختلفة ، على عدم التخلي عنها. ومن جانبهم ، فان حكام الاردن ، قد اتخذوا بالفعل الخطوات التشريعية الضرورية لجعل التمثيل الفلسطيني جزءا من مؤسسات الدولة الاردنية ، ليس فقط فلسطينيو الاردن بل وكذلك فلسطينيو الارض المحتلة .

ويلاحظ مما نشر ، حتى الان ، حول مخطط

تحسين ظروف المعيشة" المذكور، ان
الاموال المخصصة له يجرى توجيهها لخلق
مشاريع استثمارات خاصة، وليس مؤسسات عامة
او تعاونيات في المدينة والريف.
وهذا مفهوم، طالما الغرض الاساسي ،هو خلق
قاعدة اجتماعية يرتبط ولاؤها بسياسة
الاموال الممولـــة (٤).

كذلك يلاحظ اهتمام خاص، هذه المرة،
بالريف. فالسلطات الاردنية تتحدث عن
استعدادها تبني مخططات هيكلية تفصيلية
لجميع قرى الضفة الغربية البالغة ٤٣٠ قرية،
بما كلفتها عشرة ملايين ونصف مليون دينار
تتقاسم صرفها الاردن واسرائيل بالتساوي!
(٥) وعلاوة على ما يوحي به هذا الكلام من
استعداد حكام الاردن للعمل المشترك
والتآلف مع المحتلين الاسرائيليين، فان
الهدف الاساسي من وراء ذلك هو محاولة كسب
الريف الفلسطيني، واستغلال قلق سكانه على
مصير اراضيهم عن طريق نشر الوهم في
اوساطهم بان الارض يمكن تحريرها من
الاحتلال، ولكن العقبة التي تمنع ذلك هي
انت منظمة التحرير التي تصر على ربط
تحرير الارض بحق تقرير المصير، وبالاستفادة
في الوقت ذاته ، من اخطاء قيادة منظمة
التحرير التي ركزت جهودها واموالها على
حساب ولاء برجوازية المدن على حساب الريف
والجبل. وقد حاول الاسرائيليون من قبل،
من خلال هذه الاخطاء بتشكيلهم لروابط القرى
ولكن السياسة الاسرائيلية لمصادرة الارض
قضت على هذه الروابط الصنيعة بفشل كامل.

الا ان السعي لخلق قاعدة اجتماعية
للحل الامريكي داخل الاراضي الفلسطينية
المحتلة يشكل احد جناحي المؤامرة. اما
الجناح الاخر، والذى راح التحالف الامريكي
ـ الاسرائيلي يوليه اهتماما متزايدا فهو
التخلص نهائيا، من قضية اللاجئين
الفلسطينيين، بتوطينهم حيث هم، وفصل
قضيتهم، الى غير رجعة، عن مصير سكان
الارض المحتلة، وبالتالي : حصر معالجة
القضية الفلسطينية برمتها على اعتبارها
مشكلة سكان الارض المحتلة وحسب.

وفي هذا السياق، لم يقتصر الامر على
جهود المحتلين الاسرائيليين التي بدأت منذ
وقت مبكر لتصفية مخيمات اللاجئين في
الضفة والقطاع، بل وان حكام الاردن بدأوا
مؤخرا عملية مماثلة. فقد قاموا بضم مخيمي
الحسين والوحدات الى امانة العاصمة ـ عمان
كما قاموا بضم مخيم البقعة الى بلدية السلط،
بدعوى تحسين الخدمات لسكانها. وجدير
بالذكر ان هذه المخيمات موجودة منذ وقوع
كارثة تشريدالشعب الفلسطيني عام ١٩٤٨،
دون ان يطرأ على وضعها اى تغيير.

ويرافق هذه الجهود الاسرائيلية ـ
الاردنية لتصفية مخيمات اللاجئين
الفلسطينيين عملية تقليص مبرمج لخدمات
وكالة الغوث الدولية للاجئين الفلسطينيين.

لكن يبدو ان مخطط " تحسين ظروف
المعيشة" الانف الذكر ليس الا الحلقة الاصغر.
اما الحلقة الاكبر، فهي ما يجرى الترويج له
باسم مشروع مارشال للشرق الاوسط (٦).
وتتحدث الدوائر المعنية بهذا المشروع عن
ارقام متفاوتة تصل الى ثلاثين مليار دولار
ستخصص لتطبيقه، تساهم فيها الولايات
المتحدة واوربا الغربية ودول النفط العربية،
بدعوى " انعاش المنطقة". لكن هدف مصممي
هو تأمين تمرير الحل الامريكي لازمة الشرق

الاوسط، وتوطين اللاجئين الفلسطينيين نهائيا خارج بلادهم .

ويلاحظ ان الحديث عن هذا المشروع راح يتردد مع تفاقم الا زمة الاقتصادية في المنطقة ،وخاصة في ضوء تدني مداخيل النفط تدنيا حادا. وليس غريبا ان يستهوي الحديث عن هذا المشروع حكام اكثر من بلد في المنطقة، وفي مقدمتهم حكام الاردن. وغنى عن القول ان هؤلاء الحكام الذين ترددوا في الانضمام الى كامب ديفيد ١٩٧٨ لاعتبارات مختلفة، ونالوا على ذلك اموالا طائلة من دول النفط العربية ، وفقا لقرار قمة بغداد، باسم دعم الصمود ، قد انهوا كل تحفظاتهم وترددا تهم واندفعوا بكل قوتهم في العمل لصالح الحل الامريكي ، بعد ان راحت تجف هذه الاموال من الدول النفطية. ولم يكن صدفة ان تستأنف واشنطن دعمها المالي للخزينة الاردنية هذا العام بعد انقطاع منذ ١٩٧٨، في ضوء تردد الاردن الانضمام الى كامب ديفيد، مأخوذ في الحسبان ان اكثر من نصف مداخيل موازنة الدولة الاردنية تأتي من مصادر خارجية .

ويلفت الانتباه ان اكثر المتحمسين لهذا المشروع وترويجا له هم حكام اسرائيل. فالى جانب ما يحققه لهم من فرض الحل الامريكي في المنطقة، فانهم ، كما يبدو، يتطلعون ، في حال وضعه موضع التطبيق، ان يكونوا المقاول الرئيسي في المنطقة. وعلاوة على ما يتيحه لهم ذلك من اقتطاعات اساسية من مخصصاته، فهو يتيح لهم فرص التغلغل من الباب العريض، في البلدان المجاورة المشمولة بهذا المشروع الخطير .وفيما يتعلق بواشنطن ،فيبدو انها تحاول ان تفرض حلها، هذه المرة ،بالاعتماد اساسا على قوة الدولار، دون ان يعني ذلك ، بطبيعة الحال ،اسقاط الادوات الاخـــرى .

ومع تحريك خيوط المؤامرة المتشعبة، تتواتر التحركات والزيارات من والى المنطقة ،وكان آخرها زيارة بوش، نائب الرئيس الامريكي في اخرتموز وبداية آب، والذي صرح في اسرائيل يوم ٢٩ تموز بقوله : " نريد ان نرى الملك حسين يقوم بمفاوضات مباشرة مع دولة اسرائيل" ، واضاف : " ان زيارة رئيس الوزراء للمغرب ، يمكن ـ في رأينا ـ ان تسهل ذلك .. والخطوة المنطقية، اذا امكن ترتيبها ، هي لقاء مباشر بين الملك حسين ورئيس الوزراء " (٧) .وعقب مغادرته المنطقة اكد قناعته بان افضل طريق للحل ما زال المفاوضات الاردنية ـ الاسرائيلية المباشرة بمشاركة فلسطينيين لا يمثلون منظمة التحرير الفلسطينية. وكانت تاتشر، رئيسة وزراء بريطانيا ، قد ادلت بتصريح مماثل لدى زيارتها المنطقة في وقت سابق. وجدير بالتنويه ان بوش كان قد اعلن في معرض تلخيص نتائج جولته في الشرق الاوسط وشملت اسرائيل ومصر والاردن ، انه امكن ايجاد " قواسم مشتركة هامة" في الاقطار الثلاثة، وان هذه القواسم " تشكل اساسا صلبا لتجديد المسيرة السلمية "(٨)، الامريكية طبعا. ونقلت الانباء ان بوش حمل معه مشروعا من ست نقاط لهذا الغرض. وكان السفير الامريكي في اسرائيل توماس بيكرنغ قد وصف زيارة بوش لدى بدايتها بانها " جولة شرق اوسطية في اطار مهمة هامة جدا عهد بها اليه الرئيس ريغان "(٩).

ومعلوم انه قبل زيارة بوش للمنطقة

كان رئيس وزراء اسرائيل شمعون بيرز ،
ها على ملك المغرب . وقد عاد من
محادثاته التي استمرت يومين كاملين
ارتياحه من النتائج . وكانت صحيفة
احرنوت " الاسرائيلية قد نشرت
١٩٨٦/٧/٢١ المشروع ذي النقاط العشرة
حمله بيرز معه لملك المغرب ويتضمن
انسحاب الكامل من الاراضي المحتلة ،
التفاوض مع منظمة التحرير ، ورفض حق
دولة فلسطينية مستقلة ، ورفض المؤتمر
الدولي كاطار للتسوية .
وحول مغزى اللقاء العلني بين الملك
حسن وبيرز ، كانت صحيفة " عل همشمار "
الاسرائيلية قد كتبت في افتتاحيتها يوم
١٩٨٦/٧/٢٠ ان هذا اللقاء " اشارة ورمز
لجدار العداوة والرفض الذى احاطوا به
اسرائيل ، دون اى اختراق ، حتى ١٩٧٧ . وها
هو الان ، هذا الجدار ، يسقط سقوطا كاملا امام
انظارنا " . وبالاضافة الى ذلك هناك زيارات
بيريز المكوكية والتي كان قد اعلن لدى بداية
نشاطها في نهاية آذار وبداية نيسان " ان
هناك تقدما ملحوظا في تحقيق اتفاقية كامب
ديفيد ، وان من الافضل ان تبقى سرا " (١٠)
ولكن مما يلفت الانتباه ، انه رغم كل ذلك
فان الاطراف العربية المتصلة بهذه
الاتصالات والتحركات تحاول ان تعطي
حلولا آخر لهذا كله . فحكام الاردن ، ما
زالوا يعلنون ، رغم كل ذلك ، تمسكهم
بالمؤتمر الدولي كاطار للتسوية وبحضور منظمة
التحرير الفلسطينية ، دون ان يجد هذا الكلام
بعد دقيقة واحدة ، من نشاطهم المحموم ،
لتغيير القاعدة السياسية لمنظمة التحرير
كبديل لها . وفي هذا السياق ، لم
يكن من باب الصدفة ما اجاب به بيرس على
سؤال الملك الحسن له حول الحوار مع منظمة
التحرير " انا الذى سأسالك عمن ستحاور
معه ، لاننا نجدهم في سورية ، والاردن وتونس
(١١) . وحول زيارة بوش الخطيرة للمنطقة
فلم تر فيها دوائر النظامين الاردني والمصرى
ومن على شاكلتهما سوى ان هدفها الوصول الى
كرسي الرئاسة في الانتخابات الامريكية القادمة
(١٢) اما زيارة بيرس للمغرب ، فعدا حكام
مصر الذين رحبوا بها علنا ، انسجاما مع
ولائهم غير المطعون فيه لاتفاقات كامب ديفيد
، فان حكام الاردن والسعودية والخليج قد
اعلنوا انهم " فوجئوا بهذه الزيارة ! مع ان
المعلومات الواردة تؤكد علمهم المسبق بذلك
، وان ملك المغرب اوفد مبعوثا خاصا يوم بدء
المحادثات مع بيرس ، الى الملك حسين
(١٣) . وعلينا الاعتراف بان تعليق صحيفة
"عل همشمار" الاسرائيلية السالف الذكر حول
مغزى زيارة بيرس للمغرب لا يخلو من الحقيقة
، على الاقل فيما يتعلق برد الفعل العربي
على الزيارة ، التي خدمت ، في جملة ما
خدمت ، كونها " بروفة" ناجحة " للمقبلين
على التفاوض المباشر للحلول الجزئية
والمنفردة وفي اطار الحل الامريكي كحكام
الاردن . اما حكام المغرب ، فكان تعليلهم
المعلن لدعوة بيرس علنا لزيارة المغرب هو
احاطته علما بفحوى قرارات قمة فاس المتخذة
قبل اربع سنوات ، وكأن حكام اسرائيل لم
يسمعوا بها ولم يحددوا موقفا منها . بل وكأن
هذا هو الاتصال الاول بين حكام اسرائيل
والمغرب ، فلم يعد سرا ان بيرس نفسه قد زار
المغرب قبل هذه الزيارة مرتين ، وان حكام
المغرب قد لعبوا دورا رئيسيا في ترتيب زيارة

السادات لاسرائيل، والاتصالات المغربية الاسرائيلية لم تنقطع يوما .

ان ما يمكن استخلاصه من عمليات التمويه الممنوحة هذه، هو سعي الاطراف العربية المنغمسة في المناخ التآمري لتصفية القضية الفلسطينية لصالح الحل الامريكي ، لمواصلة در الرماد في العيون حتى تنجز استعداداتها وترتيباتها في سبيل المنظمة وخلق البديل والتهيؤ للتسوية المنفردة، ويلفت الانتباه ان هذه الدوائر تحاول تزيين صورة بيرس باعتباره فارس السلام الموعود. وبالتالي : لا بد من دعمه للعودة باغلبية الى الحكم في اسرائيل ، حيث تشير المعلومات الى نية حزبه فرط التحالف الحكومي مع الليكودوالدعوة لانتخابات مبكرة. وبالمناسبة : فان استقبال ملك المغرب لبيرس علنا لا يخلو، الى جانب اهدافه الاساسية الخطيرة، من هدف كهذا ، ماخوذ في الحسبان ان في اسرائيل اكثر من نصف مليون يهودي من اصل مغربي .

وعلى لهيب هذه المؤامرة المترامية الاطراف والمتعددة القوى لتصفية القضية العادلة للشعب الفلسطيني . فقد راحت تتبخر الاوهام والرهانات على الحل الامريكي ، ولو انه من المبكر القول ان هذه الاوهام والرهانات قد تبددت بالحد الكافي. وامام الاحساس بالخطر الداهم بدأت تتكون اجواء افضل لمباشرة الاتصالات والحوارات التمهيدية بهدف استعادة وحدة منظمة التحرير على اسس معادية للامبريالية والاحتلال. وجاءت مبادرة الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد ، التي دعا فيها الفصائل الوطنية الفلسطينية الى الحوار، وصولا الى استعادة وحدة منظمة التحرير، لتعطي دفعا ايجابيا لهذه العملية.

ومن اجل ان تتكلل المساعي لاستعادة وحدة منظمة التحرير بالنجاح، ومن اجل صيانة مكاسب شعبنا التي حققها بالتضحيات ، ومن منطلق الشعور العميق بالمسؤولية الوطنية ، وخاصة في هذه الظروف العصيبة ، فاننا نرى ان الاساس السياسي لاستعادة الوحدة ، هو العودة الى الالتزام بقرارات الاجماع الوطني الفلسطيني ، وبخاصة قرارات الدورة السادسة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني التي عقدت في الجزائر اوائل ١٩٨٣ ، واسس اتفاق عدن ـ الجزائر الذي جرى التوقيع عليه بين فتح واطراف التحالف الديموقراطي صيف ١٩٨٤ وبخاصة المتعلقة بتشكيل قيادة جماعية لمنظمة التحرير ترتفع بها الى مستوى التحديات المتعاظمة، والتخلي عن الاوهام على الحلول الامريكية، والغاء اتفاق عمان الذي شكل تجسيدا لهذه الاوهـــام .

ونحن على ثقة بانه عندما تتحقق الوحدة الوطنية الفلسطينية من جديد ، فسيدرك المتكالبون اليوم ، من كل حدب وصوب، للاجهاز على قضية شعبنا العادلة ، ان الجزائر الفلسطينية اقسى من اضراسهم وانها قضية شعب صقلته نيران المعارك الضارية على مدى سبعين عاما ، وان هذه القضية العادلة تحظى بدعم حلفاء لا يقهرون وعلى رأسهم الاتحاد السوفياتي الذي يؤكد كل يوم التزامه بالدعم الكامل لحقوق شعبنا الوطنية العادلة وحرصه الاكيد على استعادة وحدة منظمة التحرير الفلسطينية على اسس العداء للامبريالية والاحتلال ، واستعداده لتقديم كل عون لهذا المضمـــار .

واذا كان الوضع العربي المتردي قد

...ا ، على حركتنا الوطنية
...ماخوذ في الحسبان عامل
...لسطيني، واسهام هذا الوضع
...في نشوء واستفحال ازمة منظمة
...ا من شك في ان شق الوحدة
...ى النحو الذى جرى، قد اغرى
...ا على تشديد هجومهم وتصعيده،
...نزاع، بالمقابل ،ان استعادة
...طنية الفلسطينية ،ستؤثر، بدورها،
...استنهاض وضع ثورى في المنطقة
...رف انه كان لهذه الحركة، على
...دور نشيط وفعال في اطار حركة
...طني وحركة العداء للامبريالية في

المنطقة، بحكم تاريخ هذه الحركة الفلسطينية وموقعهـــا .

ومن جانب آخر فان استعادة التحالف السورى ــ الفلسطيني ــ الوطني اللبناني سيقود الى استعادة زمام المبادرة في المنطقة ، من ايدى قوى الرجعية واليمين ، ويسد الطريق على عملية الاستنزاف الخطيرة التي تتعرض لها اطراف هذا التحالف . فحتى سورية الدولة، تتعاظم ضدها، اليوم، الضغوطات والتهديدات، سواء على الجبهة الاقتصادية او العسكرية . وليس من سبيل سليم، امام هذه الاطراف الا العودة الى الطريق الذى زكته الحياة واكدت صحته وجدواه .

الهوامـــش :

١) جرى توقيع اتفاق عمان في ١٩٨٥/٢/١١ واعلن الملك حسين عن تجميد العمل به في ١٩٨٦/٢/١٩ .

٢) مجلة " الدستور " التي تصدر في لندن عدد ١١ / ٨/ ١٩٨٦ .

٣) قال بيرس، رئيس الوزراء الاسرائيلي امام مؤتمر دولي لرؤساء البلديات في ايار الماضي، " عندما يكون هناك شعبان يعيشان على ارض واحدة فان هناك حلين محتملين: اما اقتسام الارض او اقتسام السلطة، اما الحل الاقليمي او الحل الوظيفي " ومضى يقول : " اعتقد ان الفرصة الحقيقية، هي في الميدان الوظيفي .. الذى يبدأ بالادارة الذاتية " صحيفة السفير اللبنانية ١٧ /٥/ ١٩٨٦ .

٤) اوضح القنصل الامريكي العام في القدس موريس درايبر في محاضرته في معهد ترومان في اسرائيل بتاريخ ١٩٨٦/٧/١٧ ان الادارة الامريكية قررت تخصيص ١٤ مليون دولار تنفق على شكل دعم مباشر للمبادرات الفردية واصحاب رؤوس الاموال في الاراضي المحتلة. (مجلة الكاتب الصادرة في المناطق المحتلة ، عدد ٧٦، آب ١٩٨٦) .

٥) مجلة " العودة" التي تصدر في القدس المحتلة بتاريخ ١٩٨٦/٦/١٩) .

٦) على غرار المشروع الذى اعده " مارشال " وزير الخارجية الامريكية بعد الحرب العالمية الثانيه لانقاذ النظام الرأسمالي في اوروبا الغربية .

٧) انترناشيونال هيرالد تربيون ١٩٨٦/٧/٣٠ .

٨) صحيفة الاتحاد الصادرة في حيفا ــ لسان حال الحزب الشيوعي الاسرائيلي بتاريخ ١٩٨٦/٨/٧

٩) مجلة فلسطين الثورة، لسان حال منظمة التحرير الفلسطينية ١٩٨٦/٨/٩ .

١٠) مجلة " الحوادث " اللبنانية ١٩٨٦/٧/٨ .

١١) صحيفة " البيان " المغربيـــة ، تاريخ ١٩٨٦/٧/٢٥ .

١٢) مجلة " الدستور " التي تصدر في لندن بتاريخ ١٩٨٦/٨/١١ . فقد سلم هذا المبعوث للملك حسين رسالة من الملك الحسن في لقاء لم يحضره سوى سفير المغرب في الاردن .

فؤاد نصار
بعد عشر سنوات
على الرحيل الاخير

بقلم : مناضل قديم

الامر المؤكد بعد هذه السنوات العشر التي انقضت منذ رحيل فؤاد نصار هو انها عززت حيوية ذكراه في نفوس رفاقه واصدقائه ومعارفه الكثيرين .

ان جميع وقائع هذه السنوات بخيرها وشرها ، تحمل تزكية للنهج الذي سار عليه . واذا كانت العادة ان يلتفت الكتاب والباحثون الى التراث الفكرى المكتوب للزعماء في مناسبات احياء ذكراهم ، فان التقيّد بهذه العادة فيما يخص فؤاد نصار يظل قاصرا عن تغطية جوانب اساسية مشرقة في حياته اليوميّة ومسلكه النضالي . وهي تشكل في الواقع تراثا غير مكتوب تتناقله وتستفيد منه اجيال متعاقبة من المناضلين الثوريين عن اوجه عديدة من الممارسات اليوميّة الكفاحيّة في ثورة عام ١٩٣٦ ، وفي الحياة والتعامل مع الفلاحين انذاك ، وفي التشرد والنفي بعد ذلك ، وفي التعلم الدائب ، والتطور الى مواقع الماركسية اللينينية ، وفي بناء الحزب وقيادته وما تبع ذلك من سجن وتشـرد .

والشاهد على هذه الحقيقة ذلك الذى ما زال يختزنه شيوخ في منطقتي الخليل والقدس في ذاكرتهم عن فؤاد نصار ، قائد الفصيل في ثورة عام ١٩٣٦ الكبرى ، وما يذكره الجيل الذى تلاهم عنه كزعيم سياسي وقائد عمالي في الاربعينات ، وبعد ذلك كقائد للحزب الشيوعي الاردني بكل ما تخلل ذلك من عمل سرّي ومحاكمة وسجن طويل وتشـــرد .

ان سيرة الحياة هذه تشكل ذخيرة تربوية ثمينة للاجيال المتعاقبة من المناضلين . واذا كانت هناك عوامل عديدة تسهم في تشكيل شخصية الانسان فان عاملا من بين العوامل كان له تأثير واضح في حياة نصار ذلك هو اصالة حسة الطبقي العمالي

لم يتولد لديه نتيجة المعرفة ، بل
الحس هو الذى قاد فؤاد نصار الى
ثورة ١٩٣٦ كان هذا الحس
يكون متميزا في مسلكه مع الفلاحين
بينهم وناضل فى صفوفهم عن
من قادة الفصائل، وكان هذا
حقيقة وجود اللسان المشترك
الاحترام والثقة المتبادلة بينه ، وهو
وبين الفلاحين في المناطق
بها .
هذه المسألة بعد خمسين عاما من تلك
لا تزال تحظى باهمية وتستوجب التذكير
فؤاد نصار بوضوح وصرامة بين
السلطوية والممارسة القياديّة الثوريّة .

كانت علاقته ديموقراطية مع الفلاحين
يحدث في الموقع الذى كان يشرف عليه
كل من اشكال العنف من طراز تلك التي
في مواقع اخرى إبّان ثورة ١٩٣٦ .
البرجوازية وطبقة كبار الملاكين هي
تنظر الى الجماهير من فوق ، وتتعامل
وكأنها قطيع يمكن قيادته بالعصا
الصاخبة والديماغوجية ، وقد
تأثير هذه النظرة في الكثير من
بعض القوى حتى ايامنا هذه .
من شك في ان هناك من ابناء الطبقة
من يفقد حسّه الطبقي ، وينقاد وراء
وشعارات البرجوازية وكبار
العقاريين . وهناك بعض من يتأثر به
الطبقة العاملة ، بفعل الثقافة ،
النفي ، والنزعة الانسانية الاصيلة
الطبقة العاملة وينخرط في تنظيمها
وكفاحها الثورى . ..

لكن فؤاد نصار لم يفقد حسه الطبقي العمّالي ابدا . بل زاد هذا الحس توهجا اطلاعه على الماركسيّة اللينينيّة ، وتعمّق هذا الاطلاع فيما بعد ، حتى غدت له البوصلة التي اهتدى بها حتى نفسه الاخير .

ولم يكن هذا التزاوج بين الحس الطبقي العمالي وايديولوجية الطبقة العاملة لدى فؤاد نصار زواج صدفة. فهناك كثيرون كان لديهم مثل هذا الحس، ولكنهم فقدوه تحت التأثير الايديولوجي للبرجوازية او كبار الملاكين العقاريين ، او تحت تأثير الاغراء المادى ، والمكاسب الشخصية .

وقد كانت قوة هذه التأثيرات تبرز باكبر قدر من الوضوح عند معالجة القضية القومية للشعب الفلسطيني ، وقضية الوحدة العربية ، وفي تجربة العقود الاخيرة كانت هناك تأرجحات في الموقف منها بين الانحراف الى اليمين والمغامرة السياسية. والشواهد والامثلة على ذلك موجودة في مواقف وممارسات العديد من القوى السياسية البرجوازية تجاه هاتين القضيتين ، ولم يسلم من تأثير هذين الانحرافين ماركسيون وحركات ماركسية .

فلقد غابت تماما من تحليلات هؤلاء "النظرة الطبقيّة" والتحليل الطبقي. وجرى تبرير هذا الغياب باسم " الوطنيّة" و"القوميّة" ونسبت الى الذين تمسكوا بالنظرة الطبقية وبأدوات التحليل الطبقي تهم " "الكوسموبوليتية" و" العدميّة القوميّة" وما شابه ذلك ، وعلى اساس هذا الموقف جرى طمس كافة الفوارق وبات تبنّي موقف البرجوازيّة وكبار الملاكين العقاريين هذا ، الموقف السائد والمعيار للوطنيّة والقوميّة .

هذه وقائع تدعمها وثائق ، ولا يحق لاحد ان يسدل عليها ستار النسيان قبل ان يتعلم

منها .

وبغياب النظرة الطبقية بات كل ما يفعله عبد الناصر مثلاً صحيحا ، وأي انتقاد لهذا المسلك او ذاك في سياسة حكومته يكون موضع تشكيك في وطنيته وتقدميته . وحتى الديموقراطية السياسيّة في مصر، التي كانت مفقودة كان يجرى السكوت على انتهاكها باسم " حماية النظام " و" تغليب " الانجازات التقدميّة الاخرى للنظام الناصرى وابرازها للجماهير العربية دون سواها ، مع ان ابرز ما استغل على الصعيد العربي كان غياب الديموقراطية في مصر من قبل الانظمة الرجعية واليمينية العربية في اضطهادها لشعوبها ، وفي تصوير هذا الاضطهاد كأمر عادى وضرورة يتطلبها الحكم بغض النظرعن هويته الطبقية والاهداف التي يسعى لتحقيقها .

وقد تبين فيما بعد ان التخلي عن النظرة الطبقية في تحليل التجربة الناصرية والتعامل معها . لم يساعد الطبقة العاملة المصريّة وحلفاءها لمنع الردة الساداتية، كما اكدت هذه الردّة ان غياب الديموقراطية لم يكن في صالح النضال ضد الامبريالية ومن اجل مصر الحرة التقدميّة ، بل كان في صالح التحالف الطبقي الرجعي الذى حكم مصر بعد وفاة عبد الناصر .

وهناك المثل المعاصر، مثل التعامل مع قيادة منظمة التحرير وتقويم ممارساتها . لقد مر وقت طويل كان خلاله اى تعرض بالنقد لموقف ما او ممارسة معينة لقيادة منظمة التحرير يعتبر تجاوزا يثير حفيظة كثيرين بمن فيهم ماركسيين . وكان التحليل الطبقي لهذه الممارسات والمواقف مرفوضا بحجة ان المرحلة الراهنة ، مرحلة التحرر الوطني تلغي أي اعتبار طبقي، وكان هذا الموقف ينبع من خلط مسألتين مختلفتين – مسألة النضال على اساس قواسم مشتركة بين مختلف القوى والطبقات الاجتماعية في مرحلة التحرر الوطني ، ومسألة النضال على اساس مصالح الطبقة العاملة وحلفائها في مرحلة لاحقة من أجل الثورة الاشتراكية .

ان تحديد هذه القواسم المشتركة حتى لا يسخّر النضال لاهداف مصلحة طبقة اجتماعية واحدة ، وحتى يكون هذا النضال قادرا على تعبئة وحشد مختلف طاقات وقدرات الطبقات والفئات الوطنية في المجتمع تتطلب التحلي بروح اليقظة الطبقية حتى لا تجيّر النضالات والتضحيات ونجاحات النضال الوطني لصالح البرجوازية الكبيرة .

لقد كان فؤاد نصار يلح على التحلي بروح اليقظة الطبقية عند تحديد القواسم المشتركة في العمل الجبهوى . وفي كراسه المعنون " القضية الفلسطينية وموقف الزمرة المنشقة منها " عالج القضية من منطلق طبقي ، خدمة للقضية الوطنية نفسها ، وقد اتاح هذا المنطلق ويتيح التعرف ، بواقعية على القواسم المشتركة ، وعلى طاقات ومصالح مختلف الفئات الاجتماعيّة وصياغة برنامج واقعي للعمل الجبهوى يتجاوب مع مصالح هذه الفئات جميعا ، وبدون ذلك يكون العمل مجرد تذيّل للبرجوازية الكبيرة المستعدّة للتفاهم مع الامبريالية اذا ما سمحت لها الظروف، او اذا ما واجهت منعطفات صعبة على طريق النضال .

ولقد حدث هذا بالفعل في اتفاق عمان، وفي تبنّي سياسة الاعتماد على الامبريالية عبر النظامين المصرى والاردني .

[illegible] الذين كانوا يرفضون
[illegible] يحتمل مواقف القوى
[illegible] الفلسطينية، وتحديد
[illegible] الحاجة على اساس القواسم
[illegible] المشتركة والصفات
[illegible] الموضوعات الجديدة
[illegible] منظمة التحرير، فعزا اغلبهم
[illegible] الحاصلة عرفات، وللانحراف
[illegible] الذي وضعوا هويته الطبقية. وان
[illegible] يتحدث عن ذلك في وقت
[illegible] التحليل الطبقي الذي
[illegible] الفلسطيني في تقريره
[illegible] ١٩٨٥.

[illegible] نظرة خاصة الى الماضي
[illegible] للتقدير بانه لو جرى
[illegible] القواسم المشتركة على اساس
[illegible] التحرير لامكن عندئذ
[illegible] على اساس هذه القواسم،
[illegible] اكبر للدفاع عنها في وجه
[illegible] المنظمة بمكانتها وبدورها
[illegible] البرجوازيات اليمينية التفاهمية
[illegible] الفلسطينية الكبيرة.

[illegible] ذلك تغييب للنظرة الطبقية، [illegible]
[illegible] تحلل الاوضاع السياسية في
[illegible] من منطلقات طبقية من قبل
[illegible] عربية كانت منظمة التحرير
[illegible] التحليلات لقد قيل الكثير
[illegible] البرجوازية العربية بمختلف فئاتها،
[illegible] الفلسطينية كانت تُستثنى من
[illegible] وكان يُظن ان هذه
[illegible] عدم وجود دولة فلسطينية
[illegible] تأثير البرجوازية العربية
[illegible] في ظل انظمتها السياسية

وترتبط معها علاقات متعددة الجوانب وخاصة في الجانب الاقتصادي.

وكان مرد هذا النمط الخاطئ هو القصور عن النفاذ الى داخل الظاهرة. إما بسبب الموقف الخاطئ من الحاجة الى التحليل الطبقي في مرحلة النضال الوطني، او بسبب نقص النضوج الفكري والمعرفة العميقة بالماركسية اللينينية، وعدم اتقان استخدام منهجيتها.

لكن تطور الاحداث اثبت بما لا يقبل الشك ان هذه البرجوازية التي كانت توصف بالطهر الثوري تتصرف، هي الاخرى، مثل غيرها من البرجوازيات العربية لا أكثر، في الواقع، ومن منطلق الاعتبارات الاقتصادية، جزء من تلك البرجوازيات، ولا يستطيع احد انكار حقيقة ان كبار الرأسماليين الفلسطينيين في السعودية مثلا، هم جزء من البرجوازية السعودية الكبيرة، بل ان ارتباطهم بالنظام السعودي يمكن القول عنه انه اقوى من ارتباط زملائهم السعوديين بسبب كونهم فلسطينيين يمكن طردهم وحتى التصرف بثرواتهم من قبل السلطات السعودية اذا ما اختلفوا معها.

انهم لا يستطيعون التصرف بتعارض مع السياسات الرسمية للبلدان التي يقيمون فيها لكنهم، من الجهة الاخرى، وبوجه عام، ليسوا، من وجهة النظر الاقتصادية، في صراع مع الجماهير الفلسطينية. انهم، من الناحية العملية لا يستغلونها وهذا ما يضعف القدرة على عزلهم سياسيا، بل انهم في واقع الامر، يبدون محسنين امام قطاعات جماهيرية واسعة بين الفلسطينيين.

هذه عوامل لا تؤخذ في الحسبان، حتى الوقت الحاضر، من قبل البعض، ولذلك فان

مواقفهم تتأرجح بين المطالبة باقصاء ياسر عرفات او اقصاء مجموع حركة فتح، وتغلب على معالجة هذه المسالة النظرة البيروقراطية التي تحجّم الخلاف القائم في الساحة الفلسطينية في اطار الصراع بين اشخاص او اطارات بمعزل عن الامتداد الاجتماعي لهؤلاء الاشخاص ولتلك الاطارات .

ان هذا العزل بين الاشخاص والاطارات والقاعدة الاجتماعية لها ،أدى الى استهانة بعض الاوساط الفلسطينيّة بالحاجة الى التوجه للجماهير، وبضرورة معالجة الخلافات القائمة في الساحة الفلسطينية بوسائل سياسيّة وببرامج واقعيّة .

لقد دعا فؤاد نصار في كراسه " القضية الفلسطينية وموقف الزمرة المنشقة منها " الى ضرورة تناول هذه القضية فيواقعها التاريخي الملموس، وفي اطار الصراع العام بين الامبريالية والقوى المعادية لها وفي مقدمتها الاتحاد السوفييتي وباقي البلدان الاشتراكيّة

وعلىاساس هذا دعا وناضل من اجل حل هذه القضية بالاستناد الى طاقات وقدرات الجماهير الفلسطينيّة والشعوب العربية وحركاتها الوطنية والتقدميّة وبالاستناد الى دعم قوى السلام والتحرر وفي- مقدمتها الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية .

واوضح ان نجاح هذا النضال يتوقف على مدى الانسجام والتعاون بين مختلف هذه القوى الفلسطينيّة والعربيّة والعالميّة .

ومن هذا المنطلق تمسّك فؤاد نصار بالموقف الوطني والاممي، في نفس الوقت، لحل قضية الشعب الفلسطيني الوطنية ، ودافع عن هذا الموقف في ظروف صعبة، وإليهيعود الفضل، بصفة رئيسية، في تثبيت الخط السياسي الوطني ـ الاممي للحزب الشيوعي الاردني في تلك الظروف .

لقد ارتكزت ماركسية فؤاد نصار على قاعدة متينة من الحس الطبقي الاصيل، فهو كان مثابرا في تطبيقه للمنهج الماركسي، فلم يؤخذ بمختلف التخريجات، ومحاولات عنق الماركسية لتنطابق مع وايديولوجيات الطبقات غير العاملة، من قبل مثقفي البرجوازية الصغيرة النسياسيين ، سواء ما تعلق من هذه التخريجات بتبرير سياسات التعصب القومي اليسارية ، اوما تعلق منهابتبرير سياسات التراجع والانحراف اليمينية .

لقد لاحظ بدايات تطبيق سياسة الانفتاح الجديد في الاردن، ولم يخلط بين "الاصلاحات" التي ادخلتها هذه السياسة على وضع وممارسات النظام في الاردن، والاصلاحات التقدمية التي كانت تنفذ في مصر في مطلع الستينات، بل كشف عن الجوهر الطبقي لكل منها، وعارض اولئك الذين خلطوا بينها وصوروا ما كان يجرى من "اصلاحات" في الاردن بانه مظهر من مظاهر الاقتراب من السياسة التقدميّة التي كان ينفذّها جمال عبد الناصر ، وكشف الخلفية الطبقية لتلك الاصلاحات، واشار الى انها تهدف لتعزيز مواقع الاستعمار الجديد في الاردن ، ودفْع الاردن قدما على طريق النهج الرأسمالي المحدود والرامي فقط الى توسيع القاعدة الاجتماعية للنظام بضم اجنحة البرجوازية الاردنية الكبيرة الى تحالف الملاكين والبرجوازية البيروقراطية الحاكمة في الاردن .

قد تكون هذه المسألة والاستنتاجات

...ها من الامور المسلم بها في ...، ولكن التوصل اليها في ذلك ...ي في مطلع الستينات ينبغي ...ة الانجازات السياسيّة والفكريّة ...لى الصعيد الاردني .

...عشر سنوات منذ رحيله الاخير ...هذه السنوات العشر قد اكدت صحة ...ه اليه ويناضل من اجله . وخاصة ...ا الماسية مثل القضية الفلسطينية، ...دة العربية، وقضايا ومشاكل حركة ...العربية وافاق تطورها ، ومسألة العلاقات مع البلدان الاشتراكية .

ويمكن التأكيد ،بثقة، ان ليس هناك مما قيل وكتب باسم فؤاد نصار ما يستوجب اغفاله او ابطاله خصوصا اذا ما اخذ بمراعاة للظرف الذى كتب او قيل فيه .

وفي اعتقادنا ان رفاق فؤاد نصار واصدقائه لهم ملء الحق في الاعتزاز باتساع التأييد للمواقف التي دافع ودافعوا عنها في اوساط حركتنا الوطنية، وفي الشعور ،انطلاقا من هذه الحقيقة بأن ذكرى قائدهم الراحل ستظل حيّة الى امد طويـل .

تجربة تضاف إلى تجارب شعبنا النضالية
حول إضراب العاملين في جامعة بيرزيت

بقلـــم : مراقـــب

تمكن العاملون في جامعة بيرزيت من خلال نضالهم الموحد طوال اكثر من ثمانين يوما من افشال جميع المخططات والدسائس التي استهدفت هذه الموءسسة التعليمية الوطنية في المناطق المحتلة. فبعد نضال مرير دفاعا عن حقوقهم النقابية اضطر مجلس الامناء والادارة الى توقيع عقود عمل كاملة حسب سلم الرواتب القديم وهو المطلب الرئيسي للعاملين اضافة الى اشراك نقابة العاملين في الجامعة في مشروع الجباية المشتركـــة .

ولكن هذه النهاية للازمة في الجامعة لا تعني نهاية المطاف لان الفئات التي افتعلت الازمة وخططت لها لا يمكن ان تستسلم وان تتراجع عن مطالبها الحقيقية بهذه السهولة، وبهذا الصدد يمكن الاشارة الى ما ورد في بيان نقابة العاملين بتاريخ ١٩٨٦/٩/١٣ من ان شخصيات من اصحاب ما يسمى " بالتجمع الاردني الفلسطيني " المشبوه حضرت الى الجامعة" لاقناع بعض العاملين بالعمل على اسقاط نقابتهم مقابل ان يقدم هذا التجمع مبلغ الصيت الاموال للجامعة". وهكذا بقدرة قادر تصبح الاموال التي تباكوا من نقصها متوفرة ولكن تحتاج الى "بعض الشروط" فقط من اجل تأمينها .

واذا نظرنا بموضوعية الى الاتفاق الاخير بين نقابة العاملين في الجامعة وبين مجلس الامناء والادارة ، هذا الاتفاق الذى كان اساس مطالب العاملين حيث ورد في بيان النقابة بتاريخ ١٩٨٦/١/ ٢٩ ان النقابة اقترحت على مجلس الامناء " اسلوب الالتجاء الى العاملين ليتبرعوا للجامعة لحين حل ما يسمى بأزمتها المالية ولكن مجلس الامناء وادارة الجامعة تجاهلوا هذا الامر وارادوا ان يفرضوا علينا سياسة الامر الواقـع ". يصبح مشروعاً التساؤل الذى طرحته نقابة العاملين في بيانها بتاريخ ١٠ /٧ / ١٩٨٦ والذى يشاركها فيه جميع الشرفاء من شعبنا : " لمصلحة من تتفجر الازمات المتلاحقة في جامعتنا العزيزة (وفي المعاهد العلمية والموءسسات الوطنية الاخرى) ولمصلحة من استمرار الازمة الحالية؟

ان المتتبع لردود فعل مجلس الامناء وادارة جامعة بيرزيت في عنادهم وتجاهلهم لجميع الاقتراحات البناءة التي قدمتها نقابة العاملين في الجامعة لتجاوز " الازمة المالية"

والتي اعلن مجلس الامناء نفسه انها ايجابية يخرج باستنتاج واحد فقط : ان وراء هذا العناد وهذا التجاهل تكمن الاهداف الحقيقية لافتعال هذه الازمة والمتمثلة في ترويض هذه المؤسسة وفرض السيطرة الكاملة عليها لمنعها من ممارسة دورها الحقيقي في نضال شعبنا الفلسطيني .

ومن هنا يمكن النظر الى نضال العاملين في جامعة بيرزيت على انه في جوهره نضال طبقي ليس فقط للدفاع عن مصالح العاملين المعيشية وانما تعداه الى النضال ضد الاهداف السياسية التي تتبناها وتخطط لها تلك الفئات ، هذه الاهداف التي تنبع وتتناسب مع الاوضاع الطبقية لهذه الفئات نفسهـــا .

وهكذا فان الضائقة المالية التي كانت السبب المعلن لانفجار الازمة لم تكن الا لذر الرماد في العيون لمنعها من رؤية الاسباب الحقيقية المرتبطة والنابعة من تطور الاوضاع السياسية في المنطقة. وتم اختيار جامعة بيرزيت لتنفيذها نظرا للمكانة والسمعة الوطنية لهذه الجامعة وصولا لفرض هذه التجربة لاحقا على كافة الجامعات والمؤسسات في المناطق المحتلة " ولعل ما يجرى في المؤسسات التعليمية في المناطق المحتلة من فصل وتضييق على العاملين ليس الا جزءا من هذه المؤامرة، وما يجرى في بير زيت بشكل خاص هو الحلقة الاولى لضرب المؤسسات التعليمية، وهو جزء من مخطط اضعاف نفوذ م.ت.ف. باعتبار بيرزيت معقلا متقدما للحركة الوطنية. فتحت ستار " الازمة المالية" يعمل على تفريغ الجامعة من العناصر الوطنية واعادة ترتيب الاوراق " ... (من بيان نقابة العاملين ٢٤ / ٧ / ٨٦).وضمن هذا الاطار ينضوى قرار مجلس التنظيم العالي (الذى لم يحرك ساكنا لانهاء الازمة) بخصم ١٥ ٪ من مرتبات العاملين في جميع الجامعات ،ذلك القرار السيء الذى اضطر المجلس للتراجع عنه قبل ان يجف الحبر الذى كتب بـــــه .

لقد رأت الاوساط المتنفذة في مجلس الامناء وادارة الجامعة ان الظروف السياسية في المنطقة مواتية لشن هجوم شامل على الاتجاهات الوطنية متمثلة في نقابة العاملين في جامعة بيرزيت وطلابها ظنا منها ان هذه الحركة اصبحت معزولة ولا تستطيع المقاومة وفي نفس الوقت فهي بهجومها هذا تهيئ الظروف الضرورية لتنفيذ المخططات المعادية لاماني وطموحات الشعب الفلسطيني .

ففي هذه الفترة اشتدت الضغوط الامبريالية الاسرائيلية الرجعية العربية لتمرير الحلول الاستسلامية في المنطقة حسب مواصفات المخططات الامريكية، وزادت اسرائيل كذلك في هذه الفترة من تشديد قبضتها الحديدية على المناطق المحتلة واعادة العمل بقوانين الطوارئ الانتدابية من طرد واعتقالات ادارية التي اضطرت اسرائيل في وقت سابق لوقف العمل بها .

واطلق التوقيع على اتفاق عمان بين الاردن ورجالاته والمتساوقين معهم من قوى اليمين الفلسطيني للاستفادة من هذا الاتفاق في محاولة لترتيب الاوضاع في المناطق المحتلة بما يتناسب مع مخططاتهم وطموحاتهم وفي مقدمتها ضرب جميع اشكال المقاومة لهذه المخططات والتي كانت الجامعات في مقدمتها تمهيدا لخلق ظروف

...اعية تتساوق مع اهدافهم في فرض حلول
...ه مع مصالحهم الطبقية الضيقة
...طين حق تقرير المصير للشعب
...طيني واحقاق حقوقه المشروعة المعترف
...وليا .

...ن هنا جاء التركيز في البيان الذى
...من ما سمي " باللوبي الاردني" في
...اطق المحتلة، والذى يمثل ابطاله من
...الشوا وفريج الفئة التي هيأت نفسها
...عادة من التساوق مع الحلول الامريكية
...ائيلية الاردنية ، بكل ما يتطلب ذلك من
...لمنظمة التحرير (كما وضح ذلك في
...وجات الشوا الاخيرة) والعمل على خلق
...بديلة في المناطق المحتلة، جاء التركيز
...ي ذلك البيان على ضرورة ضرب التجمعات
...طية في جامعات المناطق المحتلة ومنع
...ل السياسي فيها او على تنظيفها من
...اصر " الهدامة" اى الوطنية .

...استغلت الاردن ما يسمى باموال الصمود
...افة الى نفوذها الادارى مستفيدةمن
...جها المقر في اللجنة المشتركة
...يئة الظروف الملائمة والامكانيات لرجالاته
...ي المناطق المحتلة لممارسة ضغوطهم
...ازهم تحت ستار الازمات المالية التي
...طوها هم انفسهم لتمرير اهدافهم وليس
...دليل على ذلك من الاوضاع التي اوصلوا شركة
...محافظة القدس اليها نتيجة لهذه
...غوط ومحاولات الابتزاز .

...قد استغلت الاوساط المتنفذة في مجلس
...ناء وادارة الجامعة جميع الوسائل
...ائس والخبرات التي كدسها من سبقوها
...ي مقاومة نضال العاملين وكسر اضراباتهم بدءاً
...تجاهل المطالب واطالة امد الازمة الى
رفض دفع المستحقات حتى قبيل عيد الاضحى للضغط المادى على العاملين وعائلاتهم الى محاولة زرع الشقاق وتفسيخ صفوف العاملين ، معبرين بذلك عن اصرارهم لتنفيذ المخططات المشبوهة وعدم اتاحة الفرصة امام هذه التجربة النضالية للنجاح خوفا من ان تكون مثلا يحتذى به وليس ادل على اصرار مجلس الامناء وادارة الجامعة على استمرار الازمة من انهم انفسهم افتعلوا ازمة جديدة بعد اقل من شهرين من انهاء الازمة الاولى بتوقيع اتفاقية شباط ١٩٨٦ .

ولكن فات هؤلاء المخططون ان يأخذوا باعتبارهم القدرات والطاقات النضالية لدى شعبنا والذى يشكل العاملون في جامعة بيرزيت جزءا منه. كما فاتهم ان جميع الدسائس والمؤامرات لن تثني هذا الشعب عن الدفاع عن لقمة عيشه وعن حقوقه المشروعة . هذا العامل الهام الذى عادة لا تحسب حسابه الاوساط اليمينية واسيادها والذىاثبت دائما بأن الحركة الجماهيرية الموحدة المناضلة كفيلة بلجم جميع المتآمرين وارغامهم على الاستجابة للمطالب المشروعة للجماهير الشعبية .

وهذا ما تمكنت من تحقيقه نقابة العاملين في جامعة بيرزيت حيثنجحت في توحيد العاملين في الجامعة في حركة جماهيرية مناضلة تدعمها الحركة الطلابية والمؤسسات والاطر الوطنية في المناطق المحتلة .

لقد نجحت نقابة العاملين في ان تكون القائد الفعلي لجماهيرالعاملين في الجامعة من خلال العلاقة الوطيدة بهذه الجماهير ومن خلال مصارحتها بكل تطورات الازمة والمفاوضات الجارية مع مجلس الامناء وادارة

الجامعة، ومشاركتها في اتخاذ القرارات الضرورية لاستمرار العطلة النضالية بشكل يضمن التفاف العاطلين حول هذه القرارات وتعمل على تنفيذها . لقد اثبتت هذه التجربة اهمية الاعتماد على الجماهير والارتباط بها في نجاح اي عمل نضالي .

وخلال فترة الازمة اثبتت نقابة العاطلين وعن حولها جماهير العاطلين في الجامعة قدرتها على الجمع بين النضال النقابي المحلي والنضال الوطني العام وكان لذلك تأثيره الايجابي على سير النضال الشاق الذي خاضه العاطلون . ففي الوقت الذي كانت تدافع فيه النقابة بكل جرأة عن مطالب العاطلين المعيشية لم تغفل الا شارة الى الاهداف الحقيقية وراء هذه الازمة المفتعلة والتنبه من خطورتها على القضية الوطنية.

ان متابعة بيانات النقابة خلال الازمة يمكن من رؤية الحرص الذي كانت تبديه النقابة على مصير الجامعة وطلابها في الوقت الذي لم يلاحظ فيه مثل هذا الحرص عند مجلس الامناء والادارة ، وهذا ما ساعد على اقامة علاقات تضامن وطيدة مع الحركة الطلابية ، الامر الذي افشل المحاولات المتكررة التي استهدفت معارضة الحركة الطلابية بحركة العاطلين في الجامعة .

وكان لحركة التضامن الجماهيرية والتي لم تكن آخرها موقف الاتحاد العام لنقابات العمال في الضفة الغربية وامينه العام عادل سالم تأثيره الفعال في الضغط على مجلس الامناء والادارة واجبارهم على ابداء المرونة في التجاوب مع مطالب العاطلين دون التخلي عن اهدافهم الحقيقية .

لقد ساهمت هذه العوامل مجتمعة في الوصول الى نهاية الازمة بتحقيق العطلة الاساسية للعاطلين وبذلك اصبحت هذه التجربة النضالية اضافة اخرى الى تجارب شعبنا التي تؤكد القدرة والامكانية الواقعية للتصدي لجميع المؤامرات التي تحاك ضد طموحات وامانى شعبنا الفلسطيني ليس فقط بالمساس لمؤسساته الوطنية ولكن فيما يتعلق بقضيته الوطنية بشكل عام وهذا ما عبرت عنه نقابة العاطلين في بيانها بتاريخ ١٠/٧/١٩٨٦ " ان معركة العاطلين في جامعة بيرزيت هي معركة شعبنا في الدفاع عن قضيته الوطنية ونحن مطمئنون الى ان شعبنا يعرف ابن يقف من هذه القضية ولذلك فنحن مطمئنون الى ان جامعتنا ستبقى كما هي قلعة للصمود الوطني وللتربية الوطنية والتعليم العالي ومفتوحة لكل ابناء شعبنا دائما ."

وهنا يجدر التنبيه الى ان انتهاء هذه المعركة لا يعني نهاية النضال لان كل تجارب الشعوب تشير الى ان الفئات التي انتظمت الازمة لن تتخلى عن الاهداف التي رسمتها لنفسها وانما تعتبر هذه النتيجة محطة ضرورية لتجميع قواها من جديد للتحضير لهجوم آخر والذي لاحظ بوادره بيان نقابة العاطلين بتاريخ ١٣ / ٩/١٩٨٦.

ولذلك يصبح ضروريا ان تقوم نقابة العاطلين في جامعة بيرزيت بتقييم شامل لهذه المسيرة النضالية ، للتعرف بدقة على ما رافقها من عوامل ايجابية وما اعترضها من سلبيات لسد جميع الثغرات التي يمكن ان تؤثر على مسيرة نضالهم وفي الدرجة الاولى المحافظة على وحدة الصف ونبذ جميع عوامل الفرقة واسبابها مما يؤهل العاطلين لان يكونوا

...طين لما يحاك من حولهم وليتمكنوا
... تنفيذ الاتفاق ،المعقود مع ادارة
...يزيت انطلاقا لتحقيق مكاسب اضافية
...املون، في حاجة الى تحقيقها .

...امل ان يسود التعقل تلك الاوســـاط التي قادت الجامعة الى هذه الازمة وان تكون هذه التجربة رادعا لجميع الذين يفكرون بالتطاول على حقوق العاملين وعلى قضية الشعب الفلسطيني الوطنية وان يستفيد الاخرون من خارج جامعة بيرزيت من هذه التجربة .

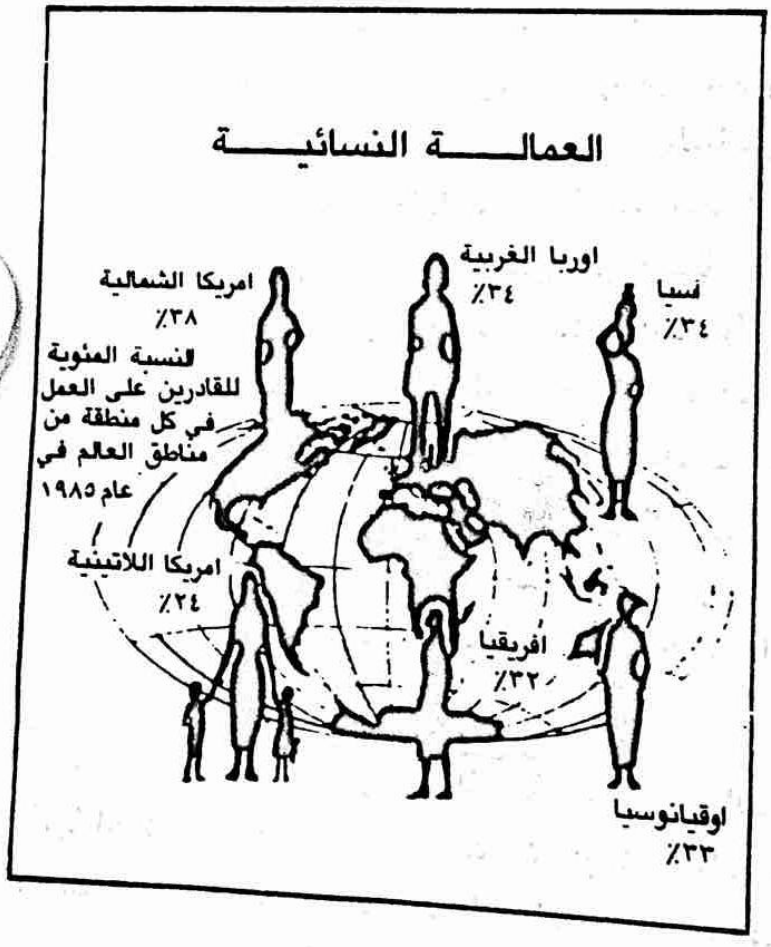

...ـــة

...ما تقل فرص العمل ، تكون عادة نسبة ...طلات عن العمل اكبر .

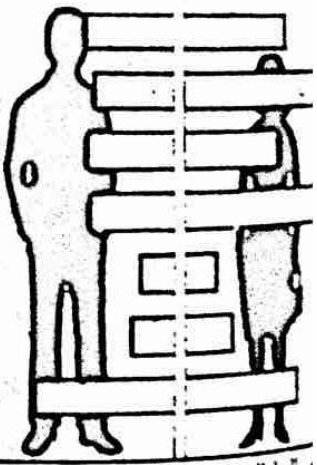

...العاطلين والعاطلات من بين القادرين ...عمل من الجنسين في سنة ١٩٨٢

... الاحصائيات الخاصة بالنساء العاطلات ...شأن المشكلة . ففي اوربا لا يقيد في ...لات البطالة سوى ٤٢٪ من النساء ...حثات عن عمل .

تنمية بمفهوم مختلف

بقلم : محرم البرغوثي

يضع الدكتور اسماعيل صبرى عبدالله،التحرر من السيطرة الاستعمارية شرطا اساسيا للتنمية ، ويقول : " ومن العبث الحديث عن التنمية قبل التحرر من الاستعمار، فالتحرر من السيطرة الاستعمارية بكافة اشكالها هو الشرط الاساسي للتنمية، والتناقض بين الاستعمار والتنمية الشاملة تناقض اصيل وكامل لا يقبل انصاف الحلول " (١) .

ان هذه الحقيقة التي نتفق عليها مع الدكتور اسماعيل صبرى ،تدفعنا لطرح سؤال هام ، عن اسباب وابعاد ما يطرح في المناطق المحتلة حول "التنمية" خصوصا ان هذا الاهتمام دفع في السنوات الاخيرة الى عقد مؤتمرين،احدهما في مجمع النقابات المهنية بعنوان"التنمية من اجل الصمود" برعاية جمعية الملتقى الفكرى العربي في القدس، والثاني عقد في آب ١٩٨٥ حول التنمية في الارياف في جامعة بيرزيت . فاذا كان التحرر شرطا اساسيا للتنمية الشاملة، فما معنى الحديث عن التنمية في

× قدم هذا الموضوع لنشره في"الكاتب"وقد ورد في البحث مجموعة من القضايا الهامة، كان من شانها ان تطرح العديد من النقاشات والتساؤلات ، ولذا ،ارتأت هيئة التحرير في حينه الدعوة الى ندوة تناقش الجوانب التنموية المختلفة التي وردت في البحث .

وقد ارتأت هيئة التحرير نشر البحث قبل استكمال الجزء الثاني من الندوة، لما لذلك من اهمية فيوضع خطوط التصور العام لافاق الجزء الثاني من الندوة المذكورة .

ظل الاحتلال وكيف ستكون هذه التنمية " .

واضح تماما أن هناك وجهتي نظر.الاولى تسعى لدراسة هذه القضية لتخدم الصمود الايجابي، والاخرى لها اهداف عكسية .

وتأتي هذه المساهمة المتواضعة، لمواصلة النقاش لاهمية وحساسية موضوعة التنمية في ظروفنا الشاذة . لتكون النتائج الايجابية سلاحا لمؤسساتنا ولمنظماتنا الجماهيرية تخدم به صمود جماهيرنا في الارض المحتلة،ومقاومة الاهداف السلبية لبعض الجهات التي تتبنى الاتجاه الثاني في مفهوم التنمية .

عربه لمعنى التنمية يقول ل.ج. ولسكي في كتابه " التخطيط والتنفيذ في التنمية ة بين النمو الاقتصادى والتنمية الاقتصادية" " ان التنمية بالنسبة للاقتصاديين، تعني ة في النمو الاقتصادى، اى ازديادا اجماليا في انتاج السلع والخدمات بمعدل اسرع من نمو ... انها تعني " اللحاق بالدول المصنّعة" واستبدال العمل البشرى المرهِق، بالالات والقضاء على الجوع والقذارة والمرض ونشر العدالة الاقتصادية والمساواة في مجتمعات ، والتحرر من الاعتماد على انتاج سلعة واحدة اومنتجات اولية قليلة، وتطوير الصناعة، الاجانب عن مراكز التسلط في اقتصادياتها وتحقيق الاستقلال الاقتصادى القومي " (٢).

مما تقدم ،يتضح ان اصحاب الفكرة العكسية اواصحاب الرأى السلبي في التنمية يتغاضى ان حسبان الحساب الدقيق لظروف ومرحلة تطور نضال التحرر الوطني في هذا البلد او ي من طرح المهام التي لم تنضج المقدمات الموضوعية لها ، ومن اغراء التغاضي عن ة الوسطية الضرورية في التطور التاريخي " (٣).

طرح مؤيدى التنمية الشاملة، يخلقون الخيفة المشروعة لدينا ، فهم يتفقون تماما مع طرح الرجوازيين لمسالة التنمية الذين يعتبرون ان الاستعمار حافز ، وانه اى الاستعمار، عامل على التنمية. ويعتبرون ان الاستعمار له فضل في تخلف هذا البلد اوذاك، لانه سيتيح للبلدان يكسب دون جهد التطور في الدول الاخرى .

بينما يكون هذا الطرف في النقاش يهدف الى ما هو اخطر من ذلك، الى انكار ان السلطة الوطنية عامل مادي للبدء في عملية تنمية ناجحة .

يتجاهلون ايضا ابعادانظار مؤسساتنا وجماهيرنا ،عن حقيقة العلاقة العضوية بين الاستقلال السياسي والاستقلال الاقتصادى ،بين السلطة الوطنية والتنمية الاقتصادية .

على سبيل المثال عامل " ان التناقض الرئيسي في مجتمعنا الكولونيالي، اى في اطار التناقض الخاص بنظام الانتاج الكولونيالي ، هو التناقض الوطني " ، " ... ويحل التناقض الوطني حلا ثوريا، اى بحل هذا التناقض السياسي الرئيسي المتميز ، يتم في البنية الاجتماعية عملية تحقيق الانتقال الى نظام الانتاج الاشتراكي . ومن الوهم الاعتقاد بامكانية تحقيق الانتقال عن طريق حل تناقض آخر ، ومن الوهم اعتبار التناقض الوطني تناقضا غير طبقي . حل التناقض الاقتصادى الخاص بالبنية الاجتماعية الكولونيالية لايكون الابحل التناقض

الوطني في هذه البنية حلا ثوريا. اى بصراع وطني هو صراع سياسي طبقي له في البنية الاجتماعية الكولونيالية مشكل تاريخي يحدده كصراع وطني " (٤) .

ان اهذه الخيفة المشروعة لالهاء الجماهير عن نضالها الرئيسي سبق وان حذر منه لينين "الايرلنديين" ولا يتضمن على العموم اى شيء عدا " اصلاحات" من الطراز الايرلندى مالوفة في الاصلاحات البرجوازية الاوروبية " (٥) .

وجاء في نقطة "١٥" من المهام في الكتاب الدى استندنا اليه ان لينين يقصد "الاصلاحات الزراعية التي طبقتها الحكومة الانجليزية في ايرلندا بقصد صرف الجماهير الشعبية الايرلندية عن النضال الثـــــورى .

وهذا يبدو واضحا لدينا من ان احد اهداف هؤلاء هو بالفعل صرف نظر الجماهير وموءسساتنا عن نضالها من اجل التحرر والاستقلال .

ويحق لنا اعتبـار ان البعض من هؤلاء يعمل على تنفيذ " تحسين شروط الحياة" او تحسين شروط حياة الاحتلال ،وذلك عبر اشغالنا في قضايا ثانوية .

هذا مايعنيه فعلا التوجه لاشغال جماهير الفلاحين في " التنمية الشاملة" واقصد بالفلاحين اغلبية سكان المناطق المحتلة. ومنهم من يملكون اراض وادوات زراعية وآخرين لايملكون شيئا. ومنهم من يعمل بنظام المحاصصة كما في الاغوار ، وهناك اهلنا في قطاع غزة الذين لا يملك حوالي ٣٠٠الف نسمة منهم شبرا واحدا من الارض وهم اللاجئون في المعسكرات ،وهناك حوالي ٢٥٠الف يقتسمون فقط ما مساحته ٣٥٠ كيلو مترا مربعا هي مساحة القطاع ،منها اراض صودرت واقيمت عليها حوالي ١٧ مستوطنة عدا تلك التي يجرى الاستعداد لاقامتها على اراضي خانيونس ، والمنطقة الشرقية للقطاع على عمق ١ ــ ٢ كيلو متر يمنع البناء اوالزراعة فيها ، وكذلك المنطقة المحاذية للبحر ، عدا عن الاراضي غير الصالحة للزراعة ، واماكن السكن ...الخ .

ان من يطرحون التنمية في الريف بمفهومها المطلق يقفزون عن تحديد ذات وموضوع واطار تنميتهم هذه ، ويغلفون اهدافهم عمليا لتبدو مقبولة وبراقة . ان الريف الفلسطيني ، وخصوصا في المناطق الزراعية الرئيسية يعج بالتناقضات التي لا يجوز تجاهلها عند الحديث عن تنمية الريف ــ واذا كان من غير الممكن معالجة هذه التناقضات في ظل الاحتلال ، فان من الصعب القبول بتنمية ريفية تعمق من طابع التناقضات هذه ، وتزيد من حدة الاستغلال والظلم الواقع على العمال الزراعيين والمحاصصين والفلاحين المستغلين الفقراء . واذا كان هناك تنمية حقيقية فلا بد ان يكون عنوانها هذه الشرائح الاجتماعية بالذات .

وفي اطار موضوع التنمية يكثر الحديث عن التعاونيات ، بدون تحديد طابع واهداف هذه التعاونيات ، وبدون محاولة توطين فكرة العمل التعاوني وفقا للخصائص والظروف المحلية. ان التعاونية شكل من اشكال تنظيم الانتاج او التسويق او بعض حلقات من هذه النشاطات ،وتقوم بالاساس على جمع وسائل الانتاج وقوة العمل على اساس طوعي اختيارى ، ولضمان نجاح التعاونيات لا بد من اثبات افضلية العمل التعاوني على اشكال تنظيم الانتاج السائدة الاخرى ، وعلى وجه الحصر ان يكون مردود العمل التعاوني على الاعضاء افضل من مردوده في اشكال تنظيم الانتاج الاخرى .

ولكن السؤال :ما هو طابع هذه التعاونيات في ظل الظروف السائدة ؟ ظروف العلاقات الاستغلالية المزدوجة الناجمة عن التناقضات الداخلية في صلب علاقات الانتاج القائمة وعن ظروف

يقول لينين " من المؤكد أن التعاونيات في ظروف دولة رأسمالية هي مؤسسات رأسمالية
" (٧) .

وفي نفس المقالة يهاجم لينين اصحاب فكر التعاون في عهد سيطرة المستمثرين فيقول " ان
التعاونيين القدماء تنطوى على كثير من الخيال ، وهي سخيفة في كثير من الاحيان لانها
" (٨) .

ان طرح التنمية في ظل الاحتلال بمفهومها الشامل او المطلق ، انما هو ضرب من الخيال ، وان
عن تعاونيات كبيرة ، ترتبط عمليا بالسوق الرأسمالي انما هو كذلك ، بل ان النقاش يدور
حقيقة مفهومه. فبالتالي اقامة هذه المشاريع الكبيرة انما يقصد بها اغراق الجماهير في قضا
بعيدا عن القضية الاساسية وهي اقامة الدولة المستقلة وتقرير المصير .
يقول لينين "فيما مضى كنا نوجه وكان ينبغي علينا ان نوجه النشاط نحو النضال السياسي
والاستيلاء على السلطة. . . . " (٩) .

لا يعني هذا انه لا توجد اشكال للتعاون ضمن المقاييس الوطنية ، ففلاحنا اوجد عبر تجربته
اشكال للتعاون ، بدءا " بالعونة" وصولا الى التعاونيات الصغيرة التي تلبي احتياجاته
ية . واصبح ايضا العمل التطوعي شكلا تعاونيا ، وكذلك التعاونيات الصغيرة الزراعية التي
حم مع نمط الانتاج السلعي الصغير .
من هنا يحق لنا ان نرى في بعض المشاريع الكبيرة التي تلوح بها منظمات اجنبية لتقام في
طق المحتلة ، غير نظيفة الاهداف . . .

ان التطورالذى جرى على اشكال عمل الامبريالية واضح من خلال تفننها في ترسيخ اقدامها في
اد لهذا الشعب او ذاك ، وبالتالي لتساهم في سلخ قطاعات واسعة من البرجوازية الوطنية
تناقض مصالحها مع السيطرة الاجنبية ، وباغراقها تستطيع نقلها الى خندق مصلحتها مع
لال او السلطة .

صحيح ان الرأسمال الاجنبي يغير احيانا تاكتيكه ، آخذا بعين الاعتبار التغيرات السياسية
رية ، وهو يحاول ان يقيم صلة مع اوساط الاعمال المحلية ويستميلها الى التعاون . ويلجأ على
واسع عادة الى تأليف شركات مختلطة (يشترك فيها كل من الرأسمال الوطني والرأسمال
بنصيب معين) بل وانه احيانا يتستر كليا في جلباب الرأسمال الوطني المحلي ، وفي هذه
تشعر الاحتكارات الاجنبية انها اقل تعرضا للخطر لانها تعمل وراء ستار امين . . . " (١٠)

استميح القارئ عذرا على الاقتباسات المطولة ، ولكن الدافع لهذه الاقتباسات الاهمية
التي تكتسبها القضية موضوع البحث وضرورة استجلاء ابعادها ، خصوصا بسبب تكاثر
التنمية) و (خطط التنمية) ودخول اطراف متعددة فيها . وتشهد المناطق المحتلة العديد من الوفود
قضية
بعد عام ١٩٨٢ . ملوحة بنقودها ودفاتر شيكاتها . السواد عيون شعبنا كل هذا؟

لكي نوضّح ان هذا لا يشمل وفودا اجنبية تربطها مع حركات التحرر وبالذات مع شعبنا علاقات نضالية مشتركة،علاقات نضالية في نفس الخندق الواحد لتصفية الاستعمار واهدافه واثاره ، لكن المقصود تلك الوفود التي تمثل دوائر حكومية معادية لطموحات شعبنا طوال التاريخ .

اننا ندرك المعنى الحقيقي والهدف الحقيقي لهذه النقود ونتفق مع القول : " من الجلي تماما ان الامبرياليين يعلقون امالهم في المقام الاول على البرجوازية المحلية الكبيرة في البلدان التي توجد فيها مثل هذه البرجوازية. ولكن هذه البلدان في عالم المستعمرات السابقة قليلة جدا، ولهذا يرى المستعمرون الجدد المخرج من الاسهام بجميع الاجراءات في تربية برجوازية وطنية بصورة مصطنعة حيث لا وجود لها ، اى انهم يضعون نصب اعينهم " غرس" علاقات الانتاج الرأسمالي في المستعمرات واشباه المستعمرات السابقة "(١١).

ايوجد اوضح من هذا لتوضيح ابعاد " تحسين شروط الحياة "؟

وتستفيد الاوساط الاجنبية والاسرائيلية في مشروعها لتحسين شروط الحياة من النتائج التي وصلت اليها القيادة الرسمية لمنظمة التحرير والتي اكثر ما تمنّا نحن ابناء الشعب الفلسطيني، وتتحدث وسائل الاعلام الغربية عن مليارات الدو لارات التي تملكها المنظمة وكذلك تتحدث عن وكلاء لشركات عالمية في القيادة الرسمية للمنظمة. وانهم يرون ان هذه هي الاسباب التي ادت للتكيف والانتقال طبقيا من خندق النضال الوطني الى خندق الغزل مع البرجوازيات العربية وحتى الغزل مع الامبريالية الامريكية. ان هدف هذه المشاريع هو توسيع المأساة لتشمل في محاولة منها، لتخريب نضال الجماهير والمؤسسات في الارض المحتلة بنفس الاسلوب الذى رفعه كشعار أعداء شعبنا بتحويل الثورة الى ثروة ؟.

اننا عايشنا " التنمية" بمفهوم اموال الصمود ، ورأينا الخطر الكبير الذى خلقته هذه الاموال في معظم الاحوال ، الى خلق شرائح منتفعة تعلن ولاءها مباشرة لمصدر هذه الاموال وخصوصا الجانب الذى يستخدمها بذكاء اكثر واشد خبثا وهو الجانب الاردني الذى كان دائما يسعى لاستمرار الوضع الاقتصادى في المناطق المحتلة كما كان عليه قبيل الاحتلال بعيدا عن التصنيع، غارقا في النمط الاستهلاكي والخدماتي فقط . وعمل الاردن على حصد ثمار سياسة اموال الدعم في تشكيل البرلمان الاردني واللوبي الاردني ، بموافقة ومباركة من سلطات الاحتلال ، وفي اللجان المنوى تعيينها في البلديات لتنفيذ السياسة الاسرائيلية والاردن ، واخيرا مجموعة ابو الزعيم.

لقد خصصت اللجنة المشتركة لقطاعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية خلال الفترة ١٩٧٩ - شهر آيار من عام ١٩٨٥ مبلغ ٤١٣ر ٤٧٢ ر ١٤٦ دينار موزعة وفق الجدول التالي :*

* المصدر صامد الاقتصادى عدد ٥٦ تموز / آب ١٩٨٥ .

الكاتب

القطاع	المبلغ الاجمالي	معدل سنوى	نسبة مئوية
(١) التربية والتعليم	٤٢٠ ر ٣٤	٧٣٦ ر ٥	٥ ر ٢٣ ٪
(٢) الاسكان	٧٢٨ ر ٢٣	٩٥٤ ر ٣	٤ ر ١٦ ٪
(٣) مجالس بلدية	٩٩٦ ر ٢٢	٨٣٢ ر ٣	٧ ر ١٥ ٪
(٤) زراعة	٦٢١ ر ١٣	٢٧٠ ر ٢	٣ ر ٠٩ ٪
(٥) تنمية اجتماعية	٣٠٣ ر ١٢	٠٥٠ ر ٢	٤ ر ٠٨ ٪
(٦) صناعة	٣٤٨ ر ٨	٣٩١ ر ١	٧ ر ٠٥ ٪
(٧) كهرباء	٨٨٤ ر ٦	١٤٧ ر ١	٧ ر ٠٤ ٪
(٨) صندوق الرعاية الوطنية	١٥١ ر ٦	٠٢٥ ر ١	٢ ر ٠٤ ٪

ويلاحظ ان ٣ر٨٠ ٪ من مجموع المخصصات ذهبت لقطاع الخدمات. حيث تم تبني العديد من المشاريع التربوية والتعليمية الخاصة غير المخطط لها وخاصة في مجال كليات المجتمع المتوسطة. واما في قطاع الاسكان فيعرف اهل المناطق المحتلة اى فئات هي الاكثر استفا من المساعدات لهذا القطاع .

كما انه لم يكن خافيا على احد الهوية السياسية للمنتفعين من المساعدات المقدمة في بعض مجالات التربية والتعليم والمجالس البلدية والقروية والاسكان والتنمية الاجتماعية والرعاية الوطنية وحتى في الصناعة والزراعة .

ويلاحظ ان الزراعة وهي من اكبر القطاعات التي ينتمي اليها الجزء الاكبر من شعبنا حظيت بـ ٢ر٩٪ من مجموع المساعدات واما الصناعة فقد حظيت بـ ٧ر٥ ٪ فقـــط .

وبات رأى اصحاب العلاقة بهذه الاموال وبطريقة توزيعها معروفا . رغم انه كان بالامكان الاستفادة من هذه الاموال ومن هذا الدعم لو قدّر لها ان تخضع لسياسة صحيحة وتوجيه مخلص .

لاشك ان الاحتلال حال دون اية عمليات للتنمية، وهذا معروف ،لان مصالحه تتعارض مع مصالح المستفيدين من هذه التنمية .

وليس هذا فقط، بل استمر الاحتلال في الانقضاض على جوانب الحياة للشعب الفلسطيني الاقتصادية والتربوية والصحية.. بحيث قام الاحتلال بضرب الموارد الزراعية عبر مصادرة اكثر من ٥٢٪ من الارض حسب احصائيات بنفنستي ، وكذلك مصادرة المياه والسيطرة على الابار..كل هذا يعني ان الاحوال التي باتت تعيشها جماهيرنا اسوأ كثيرا مما كانت عليه في السنوات السابقة خصوصا غالبية الجماهير التي زادت فقرا وتعاني من البطالة والفقر ونقص الاجور للعاملين ، حيث يمنع المزارعون من تصدير محاصيلهم الزراعية ، وتفرض الضرائب الباهظة على التجار والمصانع .. وتستمر الضغوط على المؤسسات الشبابية التي ادت الى اغلاق العديد من الاندية في الريف وتخريب المناهج الدراسية واغلاق الجامعات وسن قوانين تصل حد التدخل في شؤون الجامعات الداخلية مثل الامر

العسكري ـ رقم ٨٥٤ وهن قوانين اكثر حدة على الفلاحين منها الامر العسكري الذي يحمل رقم ١٠١٥ والذي ينص على منع زراعة اكثر من ٢٠ شجرة مثمرة بدون اذن رسمي منها ، ويذكر ان هذا الامر العسكري يعتبر البندورة والباذنجان ايضا من الاشجار المثمرة .

ما العمـــــل ؟

امام هذه الحقائق ، لا بد من وضع البديل الواقعي الذي نستطيع في هذا المجال ذكره، خصوصا ان البديل يجب ان يوفر فرصا للعمل ويساعد على وقف نزيف الهجرة ، وتوفير الحد الادنى لضروريات حياة الجماهير، وبالتالي خلق ظروف مناسبة للصمود الايجابي ، وليس الصمود المتخاذل على نمط روابط القرى وغيرها .

فلوضع تصور يخدم هذا الهدف ، ارى ان وضع البديل ، الى حد ما ، للبضائع الاسرائيلية التي اصبحت اسواق المناطق المحتلة ثاني مستورد في العالم بعد الولايات المتحدة، وحتى تلك السلع التي كانت متو فرة بكثره في كل بيت مثل الدواجن ، البيض ، اللبن ، الفواكه، ،الخضروات.

لكن تشجيع الاقتصاد المنزلي اى انتاج الاستهلاك المباشر فاننا نكون قد ساهمنا بشكل واضح في مقاومة الضغوط التي نجحت في ايصال الاوضاع الى هذا الحد ، بهدف تحويل المناطق المحتلة الى سوق كاملة للسلع الاستهلاكية الاسرائيلية، وتحويل الفلاحين والاهالي الى عمال في سوق العمل الاسرائيلية او الهجرة الى الخارج لتسهيل سلب الاراضي وتفريغها من اصحابها .

ان المقصود بالاقتصاد المنزلي ليس نمطا انتاجيا وبالتالي اعادة التاريخ للوراء وهذا مستحيل لكن المقصود هو ما يسمى بالاقتصاد البيتي .

وكما يقول الدكتور فؤاد مرسي " .. كانت اسرة الفلاح تنتج كل ما تحتاجه تقريبا ، بحيث انها لم تبدأ تنتج من اجل البيع الا حينما توصلت الى انتاج فائض عن استهلاكها وعن الاتاوات العينية المترتبة عليها للاقطاع ..." " صحيح ان الحرفيين في المدن كانوا يشبعون الجزء الاكبر من حاجات استهلاكهم المباشر بعملهم الشخصي ، وهكذا فان الانتاج بقصد التبادل ـ وهذا تعريف الاقتصاد السلعي ـ كان لا يزال في المهد . ولذا كان التبادل محدودا وكانت السوق صغيرة، وكان اسلوب الانتاج مستقرا . وكانت العزلة المحلية عن العالم الخارجي شبه تامة " (١٢) .

واضح ان في هذا تشخيصا مقبولا لما يريده اقتصادنا في هذه الظروف ، للتخفيف قدر الامكان من استيراد البضائع الاسرائيلية ،والتخفيف ايضا من الضغوط التي تمارسها السلطات الاسرائيلية والاردنية على تصدير السلع والتي تتكرر سنويا ضد مزارعي العنب والبطيخ والخضروات .. الخ.

ان الانتاج المنزلي يعتبرا مدخلا لتخفيف الازمة الاقتصادية على ابناء الريف بالدرجة الاولى وبالتالي ايضا تخفيف اثر البطالة وغيرها .

هناك العديد من المهمات نستطيع الشروع في تنفيذها الى حد ما ،فمثلا نجد بعض الاحمائيات المدهشة ، التي تدحض اتهام بعض المؤسسات بانها تساعد على تنميتها .

فمثلا جاء في دراسة اصدرها الملتقى الفكري العربي في مؤتمر التنمية من اجل الصمود ما يلي:

" .. يتضح ان المناطق المحتلة قد استوردت ٢٣ ٪ من كمية الخضروات المصدرة من الانتاج الزراعي الاسرائيلي وان نحو ٦٣٪ من مجموع كميات الفواكه التي تستهلكها تأتي من اسرائيل ولا توجد معطيات عن كميات الحبوب والمحاصيل العلفية" حسب معطيات ١٩٧٩ – ١٩٨٠ (١٣).

هذا مثال عن الزراعة، واورد مثلا عن الثروة الحيوانية حيث يقول عبد الرحمن ابو عرفة ان العدد اللازم اضافته من الحيوانات لتلبية الحاجات المحلية على النحو التالي : " ٢٧٠٠ بقرة هولندية، ١٦٠٠٠ اغنام وماعز ، ١٦٢٠٠٠ دواجن بياض ٤٠٨٠٠ دواجن لاحمة" (١٤).

اما في قطاع غزة فالنواقص في الحيوانات مثلا : "الابقار كانت في سنة ١٩٦٨، ١١٥٠٠ اصبحت في عام ١٩٧٩ ، ٤٠٠٠ اى نقص ٧٥٠٠ بقرة" (١٥).

بالتأكيد ايضا ان المساحات المزروعة حبوبا انخفضت بمعدلات عالية، واصبح النقص بالتالي كبيرا ايضا . من هنا اصبح اسم بعض الشركات الاسرائيلية ومنتجاتها في كل "ثلاجة" في المدينة والقريـــــة .

ظهرت في الفترة الاخيرة شعارات مقاطعة السلع الاسرائيلية، واعطاء امثلة في جنوب افريقيا وغيرها من المواقع التي تجابه بمثل هذه الاسلحة النضالية، لكن حتى يتم مثل هذا لا بد من ايجاد البديل الحقيقي والواقعي، فلا يمكن مثلا تخفيض الاستهلاك من انتاج شركة ما .. الا عندما نرفع عدد الابقار والاغنام في المناطق المحتلة، وان نحل مشكلة اصحابها عبر توجيه الدعم الحقيقي لهؤلاء عبر تزويدهم بالاعلاف وتوحيدهم في لجان فلاحين. لتنظيم مسألة الدعم، ثـــم تنظيم التسويق المحلي لهم، وبالتالي تصبح هذه اللجان أطراً تعمل على رفع مستوى الوعي التعاوني ، بمفهوم يدعم الصمود الايجابي .

نستطيع مقاطعة الفواكه او التخفيف من استيرادها عندما نزرع الخوخ والتفاح.. التي كانت في السابق .ويقال ان سبب انقراضها هو سرعة تعرضها للامراض، ويمكن الان توفير الارشاد ومقاومة الامراض عن طريق نقابة المهندسين الزراعيين ولجان الاغاثة الزراعية .

نستطيع تخفيف استيراد الحبوب ، بعد تشجيع العودة الى الارض، ودعم الفلاح على الاقل بالبذار المحسّن وتوفير، البغال والخيول لحرث الاراضي الجبلية. وهذه ادوات انخفضت بشكل كبير فمثـــلا :

" الحمير: انخفض عددها على النحو التالي :ـمن ١٨٢٧١ عام ١٩٧٦ـ ٩٧٥ر١٤حماراعام ١٩٧٩

البغال :انخفض عددها على النحو التالي : من ٥٢٠ره عام ١٩٧٦ – ٦٦٨ر٣ بغلاعام ١٩٧٩

الخيل :انخفض عددها على النحو التالي :من ٣ر٠١٧ عام ١٩٧٦– ٦٧٢ر١رأس خيل عام ١٩٧٩ (١٦).

اذا ماتم دعم هذا التوجه الى الاقتصاد البيتي بمفهوم الاقتصاد الطبيعي ، فان ذلك سيحقق بالفعل نجاحا ملموسا .

ولتوضيح المقصود،هناك عائلة في العوجا في منطقة الاغوار لديها ما يلي :ـ

دجاج بلدى، حبش ، غنم ، بقره هولندية، ماعز، حمام بلدى، ارانب ، نحل . ولديهم تراكتور ويحرثون الارض التي لا يملكونها بل يزرعونها بنظام المحاصصة ويزرعون الزهرة، الملفوف، القمح ،

الشعير، البندورة، باذنجان وباقي الخضروات بانواعها .

نقول ربة البيت " لدينا الدجاج للحم والبيض، ونحلب البقر والغنم والماعز، نصنع الرا
والجبنة والزبدة .. ونستخرج العسل .. معظم اكلنا من انتاجنا في البيت " (١٧).

المس هذا حلا وبديلا يمكن بالفعل ان تعمل المؤسسات الجماهيرية شبابية او نسائية كان
مقابلة على تنفيذه . ان هذا يشكل بديلا ارى فيه الواقعية وامكانية التطبيق فاذا كانت التنمية
المناطق المحتلة بهذا المفهوم ، فانها حقا ستساعد على الصمود الايجابي انها تخدم الس
الاعظم من الفلاحين الفقراء والاحياء الفقيرة في المدن وفي المخيمات .

ان تبني المؤسسات المعنية بذلك ، لمثل هذا التوجه وبتعاونها مع المنظمات الجماهير
المنتشرة في الريف والمدن والمخيمات ، وانتشارها هذا،يعني انها سلطة تنفيذية امينة، فان
التعاون سيكون شكلا منطقيا لخدمة جماهيرنا في ظل هذه الاوضاع الشاذة .

ان المؤسسات الجماهيرية ، قادرة اذا ما تم دعم هذا التوجه ،على خلق وتطوير التعاون
ريفنا ومخيماتنا ، بعيدا عن المحاولات المشبوهة لاغراق جماهيرنا في مشاريع تخريبية بهد
ابعادجماهيرنا عن هدفها السامي وهو النضال من اجل التحرر والاستقلال والتقدم الاجتماعي .

ان هذه الدراسة المتواضعة ، انما تتطلب ايضا التنسيق بين الاطر الجماهيرية في الارض المحت
،لانها معنية قبل غيرها في الدفاع عن مصالح جماهير نا النضاليّة ، والتصدّي للمحاولا
التخريبية الهادفة الى ابقاء وتعميق ارتباط مجتمعنا سياسيّا واقتصاديّا في عجلة الراسمال
والامبريالية والصهيونية الى الابـــــد .

ان هذه الدراسة محاولة لوضع البديل والمثل امام مؤسساتنا الوطنية واصدقائها في العال
يُتوخى منها تسليط الاضواء على كيفية صرف ، وتوجيه ما يمكن ان يتوفر من مساعدات غيرمشرو
للمناطق المحتلة بهذا الاتجاه ، والعمل على توظيفها لخدمة اوسع الجماهير الشعبية، وال
سيشكل دعمها حافزا مساعدا للمضي في نضالها من اجل مستقبل التحرر السياسي والتد
الاقتصادى ، مستقبل افضل لانساننا ولارضنا الحبيبـــة .

هوامـــــش :

١) حسرى عبدالله "في التنمية العربية" ص ٢٥ ــ ٢٦ دار الوحده العربيه الطبعه الاولى ١٩٨٣ ــ لدكتور اسماعيل .

٢) كاظم حبيب "مفهوم التنمية الاقتصادية" دار الفارابي ، ص ١٧ .

٣) جوكوف ، اسكندروف ، ستيبانوف " البلدان النامية وقضاياها الملحة " دار التقدم موسكو ١٩٧٥ .

٤) مهدى عامل " مقدمات نظرية لدراسة اثر الفكر الاشتراكي في حركة التحرر الوطني" ص ٣٩ ، دار الفارابي الطبعه الثالثه ١٩٨٠ .

٥) لينين "مسالة الارض والنضال في سبيل الحرية" ص ٥٨ .

١٩٨٥ .

٧) لينين "موضوعه حول التعاون" ص ١٩٨٢ "مسالة الارض والنضال في سبيل الحريه" .

٨) المصدر السابق ص ١٧٦ .

٩) المصدر السابق المجلد ٤٥ ص ٢٦٩ – ٢٧٧ .
١٠) جوكوف اسكندروف ، ستيانوف " البلدان النامية وقضاياها الملحة ص ٥٨ – ٥٩ .
١١) المصدر السابق ص ١٠٨ .
١٢) دكتور فؤاد مرسي " التخلف والتنمية " دراسة في التطور الاقتصادي . دار الوحدة الطبعة الاولى ١٩٨٢ .
١٣) داود اسماعيولي عبد الرحمن ابو عرفة ، يوسف العزه ، "الواقع الزراعي في المناطق المحتلة وضرورات التنمية" مؤتمر التنمية من اجل الصمود ١٩٨١ ص ٩ .
١٤) عبد الرحمن ابو عرفه الثروة الحيوانية في الضفة الغربية " مؤتمر التنمية من اجل الصمود ، جمعية الملتقى الفكري العربي – القدس – ص ٣٠ .
١٥) د. محمود مكي "الثروه الحيوانية في قطاع غزة المحتل" مؤتمر التنمية من اجل الصمود – الملتقى الفكري العربي القدس .
١٦) "السره السنويه للمناطق المحتله "لسنه ١٩٨٠ رقم ١ مركز الدراسات الريفية جامعة النجاح الوطنيه – نابلس .
١٧) العمل والمعلومات من كاتب المقال م.ب.

بالارقـــــام

بلغ مجموع ارصدة السعودية والكويت ودولة الامارات العربية وقطر في المصارف الامريكية لوحدها ، حسب ما أورده راديو لندن ، ٣٠٠ مليار دولار موزعة على النحو التالي :

السعودية	١٥٠ مليار دولار ارصدة للدولة
	٣٠ مليار دولار ارصدة للافراد
الكويت	٨٠ مليار دولار ارصدة للافراد
دولة الامارات العربية	٣٠ مليار دولار
قطـــر	١٠ مليار دولار

ويذكر ان هذا المبلغ يشكل حوالي ٣٠ ٪ من مجموع ديون الدول النامية لمجمل الدول الدائنـــة .